دراسة نقدية في اسم قديم وحقيقة التاريخ

تارتاريا

بين الخرائط الأوروبية والوثائق التاريخية

رحلة بحثية تمتد عبر الخرائط الأوروبية، ورحلات المستكشفين، والوثائق الرسمية، والنقوش، والعملات، والعمارة، واللغات، والمصادر الإسلامية، لمحاولة الإجابة عن سؤال طالما أثار الجدل في العصر الحديث.

هل كانت تارتاريا إمبراطورية عالمية متقدمة أم أنها اسم جغرافي قديم استخدمه الأوروبيون؟

تأليف الباحث

أمير أبو حديد

حضارة تارتاريا الوهمية: دراسة تاريخية نقدية في ضوء الخرائط والوثائق والأدلة الأثرية

المقدمة :

من وجهة نظري، لم تعد مهمة الباحث التاريخي اليوم تقتصر على دراسة الحضارات القديمة والوثائق الأثرية فحسب، بل أصبحت تشمل أيضًا فحص الروايات التاريخية التي تنتشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت، والتي يختلط فيها الصحيح بالزائف، والحقيقة بالخيال. ومن أبرز هذه الروايات في السنوات الأخيرة ما يعرف باسم **حضارة تارتاريا**، التي تحولت في نظر كثيرين إلى حضارة عالمية متقدمة، ثم اختفت بصورة غامضة بعد كارثة كونية أو مؤامرة دولية مزعومة.

لقد انتشرت آلاف المقاطع المصورة والمقالات التي تدّعي أن تارتاريا كانت إمبراطورية عظيمة امتدت عبر معظم أنحاء العالم، وأن آثارها ما زالت قائمة في مدن أوروبا وأمريكا وآسيا، وأن التاريخ الرسمي أخفى وجودها عمدًا. ومع مرور الوقت، أصبحت هذه الفكرة تُقدَّم على أنها حقيقة تاريخية، رغم أن كثيرًا من الأدلة التي يُستشهد بها لا تستند إلى منهج علمي أو وثائق أصلية.

من هنا جاءتني فكرة هذا الكتاب.

لا أهدف إلى الدفاع عن هذه النظرية ولا إلى مهاجمتها مسبقًا، وإنما إلى إخضاعها للمنهج التاريخي النقدي القائم على الوثائق والخرائط والمصادر الأصلية والآثار المعروفة. فالتاريخ لا يُكتب بالانطباعات، ولا بالمقاطع المنتشرة على الإنترنت، وإنما يُبنى على الأدلة القابلة للتحقق.

وسأبدأ أولًا بطرح السؤال الأساسي:

هل وُجدت فعلًا حضارة اسمها تارتاريا؟

أم أن كلمة **Tartaria** لم تكن سوى تسمية جغرافية استخدمها الجغرافيون الأوروبيون للإشارة إلى مناطق واسعة من آسيا لم تكن معروفة لهم بدقة؟

هذا السؤال سيكون محور الكتاب كله

وسأعتمد في كل فصل على

الخرائط الأصلية المحفوظة في الأرشيفات العالمية

الوثائق التاريخية المعاصرة لكل مرحلة

الدراسات الأكاديمية الحديثة

الأدلة الأثرية الموثقة

مقارنة الادعاءات المتداولة بما تقوله المصادر الأصلية

ومن وجهة نظري، فإن أي فرضية تاريخية، مهما كانت جذابة، لا تصبح حقيقة إلا إذا دعمتها الأدلة المادية والوثائق المعاصرة. أما إذا افتقرت إلى هذه الأدلة، فإنها تبقى فرضية أو أسطورة أو تفسيرًا غير مثبت.

لذلك فإن هذا الكتاب لا يدعو القارئ إلى قبول رأي معين، بل يدعوه إلى ممارسة التفكير النقدي، والعودة إلى المصادر الأصلية، وعدم الاكتفاء بما يُتداول في وسائل الإعلام أو على منصات التواصل الاجتماعي.

إن البحث عن الحقيقة التاريخية ليس دفاعًا عن الرواية الرسمية، ولا انحيازًا للروايات البديلة، بل هو التزام بالمنهج العلمي الذي يضع الدليل فوق كل اعتبار.

أمير أبو حديد

باحث في التاريخ والفكر، ومؤرخ وكاتب.

الفصل الأول

هل وُجدت حضارة باسم تارتاريا؟

من وجهة نظري، لا يمكن لأي باحث في التاريخ أن يبدأ بدراسة ما يسمى بـ **حضارة تارتاريا** قبل أن يجيب عن سؤال بسيط في ظاهره، لكنه جوهري في مضمونه

هل عرفت البشرية في أي مرحلة من مراحل التاريخ حضارة أو دولة رسمية حملت اسم تارتاريا؟

هذا السؤال ليس سؤالًا فلسفيًا، بل سؤال تاريخي يخضع للأدلة. فالحضارات لا تُثبت بانتشار القصص أو المقاطع المصورة، وإنما تثبت بالنقوش والوثائق والآثار والعملات والسجلات الرسمية التي تركها أصحابها أو معاصروهم.

لقد انتشرت خلال السنوات الأخيرة مئات المقاطع التي تزعم أن تارتاريا كانت أعظم حضارة عرفها الإنسان، وأنها امتلكت تقنيات متقدمة تفوق ما نملكه اليوم، ثم اختفت بصورة غامضة، بينما قامت قوى مجهولة بإزالة آثارها وإعادة كتابة التاريخ لإخفاء وجودها.

ومن وجهة نظري، فإن مثل هذا الادعاء الاستثنائي يحتاج إلى أدلة استثنائية. فإذا قيل إن حضارة حكمت جزءًا كبيرًا من العالم، فمن الطبيعي أن تترك وراءها آلاف النقوش، والوثائق الرسمية، والقصور، والمعابد، والعملات، والسجلات الإدارية، كما فعلت الحضارات المصرية، والسومرية، والحثية، والحورية الميتانية والكاشية والرومانية، والصينية وغيرها.

لكن عند البحث في المصادر التاريخية المعروفة، لا نجد حتى الآن أي نقش مكتوب بلغة تنسب نفسها إلى حضارة تارتاريا، ولا نجد ملكًا أعلن في وثيقة معاصرة أنه ملك تارتاريا، ولا نجد أرشيفًا إداريًا لدولة تحمل هذا

الاسم، ولا لغة موثقة عُرفت باسم اللغة التارتارية، ولا نظامًا كتابيًا خاصًا بها يمكن نسبته إلى حضارة مستقلة.

وهنا ينبغي التفريق بين أمرين مختلفين تمامًا:

الأول هو وجود كلمة **Tartaria** في عدد من الخرائط الأوروبية القديمة، وهو أمر لا خلاف عليه، لأن هذه الخرائط ما زالت محفوظة في الأرشيفات العالمية.

أما الثاني فهو الادعاء بأن هذا الاسم كان يدل على حضارة عالمية متقدمة أو إمبراطورية موحدة امتلكت علومًا خارقة، وهو ادعاء يحتاج إلى أدلة مستقلة، ولا يكفي وجود اسم على خريطة لإثباته.

إن الخرائط القديمة كانت في كثير من الأحيان تستخدم أسماء جغرافية واسعة لوصف مناطق لم تكن معروفة بالتفصيل، أو للإشارة إلى تجمعات بشرية كبيرة دون أن يعني ذلك وجود دولة موحدة أو حضارة واحدة. ولذلك فإن ظهور اسم على خريطة لا يكفي وحده لإثبات وجود كيان سياسي أو حضاري بالمعنى الدقيق.

ومن وجهة نظري، فإن أول خطأ يقع فيه كثير من الباحثين والهواة هو الخلط بين **الاسم الجغرافي** و**الكيان الحضاري**. فليس كل اسم يظهر على خريطة يمثل دولة،

وليس كل منطقة واسعة تحمل اسمًا معينًا تعني وجود شعب واحد أو حضارة واحدة.

لذلك سيكون هدفي في الفصول القادمة هو العودة إلى الخرائط الأصلية نفسها، ودراسة الظروف التي دفعت الجغرافيين الأوروبيين إلى استخدام اسم **Tartaria**، ثم مقارنة ذلك بما تقوله الوثائق التاريخية المعاصرة، حتى أصل إلى نتيجة مبنية على الأدلة لا على الانطباعات أو الروايات المتداولة.

الفصل الثاني

هل تثبت الخرائط القديمة وجود حضارة تارتاريا؟

من وجهة نظري، فإن أكثر دليل يتكرر الاستشهاد به لإثبات وجود حضارة تارتاريا هو الخرائط الأوروبية القديمة التي يظهر فيها اسم **Tartaria** أو **Great Tartary**. ويُعرض هذا الدليل عادة على أنه حاسم، إذ يقال: إذا كانت تارتاريا لم توجد، فلماذا كُتب اسمها على الخرائط؟

وللوهلة الأولى يبدو هذا السؤال منطقيًا، لكنه يحتاج إلى تحليل أعمق، لأن كتابة اسم على خريطة لا تعني بالضرورة وجود دولة أو حضارة مستقلة. فالخرائط

التاريخية يجب أن تُقرأ في سياقها الزمني والعلمي، لا بمنظار القرن الحادي والعشرين.

عندما عدت إلى عشرات الخرائط الأوروبية التي تعود إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، وجدت أن اسم **Tartaria** يتكرر بالفعل على مساحات واسعة من قارة آسيا، تمتد أحيانًا من بحر قزوين غربًا إلى المحيط الهادئ شرقًا، ومن سيبيريا شمالًا إلى حدود الصين والهند جنوبًا.

وهنا يبرز سؤال آخر أكثر أهمية:

هل كانت كل هذه المساحة الشاسعة دولة واحدة؟

من وجهة نظري، فإن مجرد النظر إلى تلك الخرائط يثير الشك في هذا الادعاء. فمن غير المعقول أن توجد إمبراطورية تمتد آلاف الكيلومترات دون أن تترك وراءها نظامًا إداريًا موحدًا، أو لغة رسمية، أو عاصمة معروفة، أو عملة مشتركة، أو نقوشًا ملكية، أو أرشيفًا سياسيًا يثبت وجودها.

إن الخرائط القديمة كانت تختلف كثيرًا عن الخرائط الحديثة. ففي ذلك الزمن لم تكن الحدود السياسية مرسومة بدقة كما هي اليوم، وكان الجغرافيون الأوروبيون يعتمدون في كثير من الأحيان على روايات

الرحالة والتجار والمبشرين، إضافة إلى المعلومات المتوافرة لديهم، والتي كانت ناقصة في مناطق واسعة من آسيا.

ولذلك كانت أسماء مثل **Scythia** و**Sarmatia** و**Tartaria** و**India** تستخدم أحيانًا كمصطلحات جغرافية عامة، وليس باعتبارها أسماء دول ذات حدود واضحة.

ومن وجهة نظري، فإن الخطأ المنهجي الذي يقع فيه بعض الباحثين هو تفسير الخرائط القديمة بعقلية معاصرة. فهم ينظرون إلى كلمة مكتوبة على الخريطة، ثم يفترضون مباشرة أنها تمثل دولة أو حضارة، بينما كان رسامو الخرائط يقصدون في كثير من الأحيان مجرد تحديد إقليم أو منطقة واسعة يسكنها عدد من الشعوب المختلفة.

ومن الملاحظ أيضًا أن خرائط تارتاريا لا تقدم وصفًا موحدًا لهذا الاسم؛ فبعضها يكتب **Great Tartary**، وبعضها **Chinese Tartary**، وبعضها **Independent Tartary**، وبعضها **Russian Tartary**. ولو كانت تارتاريا دولة مركزية واحدة، فلماذا هذا التنوع في التسميات؟

إن هذا الاختلاف لا يدل على وحدة سياسية، بل يوحي بأن الجغرافيين كانوا يقسمون مناطق آسيا إلى أقاليم متعددة تحمل الاسم نفسه مع إضافة أوصاف جغرافية أو سياسية مختلفة.

ومن وجهة نظري، فإن الخرائط وحدها لا تستطيع أن تثبت وجود حضارة مستقلة، تمامًا كما أن ظهور اسم **Arabia** على الخرائط القديمة لا يعني أن جميع سكان الجزيرة العربية كانوا دولة واحدة، ولا أن ظهور اسم **Scythia** يعني وجود إمبراطورية سكيثية واحدة تحكم كل تلك الأراضي.

ولهذا السبب سأخصص الفصول القادمة لتحليل أشهر خرائط تارتاريا واحدة تلو الأخرى، مع دراسة تاريخ كل خريطة، واسم رسامها، والظروف التي رُسمت فيها، وما إذا كان اسم **Tartaria** يشير إلى دولة فعلية أم إلى مصطلح جغرافي استخدمه الأوروبيون لوصف مناطق لم تكن معروفة لهم بدقة.

ففي البحث التاريخي، لا تكفي الخريطة وحدها لإثبات وجود حضارة، بل يجب أن تتكامل مع النقوش، والوثائق الرسمية، والآثار، والعملات، والمصادر المعاصرة حتى يمكن الوصول إلى نتيجة علمية راسخة.

الفصل الثالث

ما هي الحضارة؟ وهل ينطبق هذا التعريف على تارتاريا؟

من وجهة نظري، لا يمكن أن أبحث في وجود حضارة أو أن أنفي وجودها قبل أن أحدد أولًا معنى كلمة **حضارة**. فالكثير من الجدل الدائر حول تارتاريا يعود إلى غياب تعريف علمي واضح لهذا المصطلح. ولهذا السبب فإن أول خطوة في أي دراسة تاريخية جادة هي الاتفاق على المعايير التي تجعل من مجتمع ما حضارة مستقلة.

لقد وضع علماء التاريخ والآثار عبر العقود مجموعة من الخصائص الأساسية التي تميز الحضارات عن التجمعات البشرية أو الأقاليم الجغرافية. ورغم اختلاف المدارس التاريخية في بعض التفاصيل، فإن معظمها يتفق على عناصر رئيسية لا تكاد تخلو منها أي حضارة معروفة.

ومن وجهة نظري، فإن الحضارة لا تقوم على اسم يظهر في خريطة، ولا على روايات شفهية، ولا على صور متداولة في الإنترنت، وإنما تقوم على منظومة متكاملة من الشواهد المادية والتاريخية.

ولهذا فإنني سأعتمد في هذا الكتاب المعايير الآتية للحكم على وجود أي حضارة:

أولًا: وجود شعب أو مجتمع منظم.

فلا توجد حضارة بلا مجتمع مستقر يمتلك هوية اجتماعية واضحة، ويقيم في مدن أو مراكز حضرية، ويترك آثارًا تدل على حياته اليومية.

ثانيًا: وجود سلطة سياسية معروفة.

كل الحضارات التي نعرفها اليوم كان لها نظام حكم، سواء كان مملكة أو إمبراطورية أو اتحاد مدن، وكان لها حكام معروفون بأسمائهم، وسلالات حاكمة، وأجهزة إدارية.

ثالثًا: وجود عاصمة أو مراكز حضرية رئيسية.

الحضارات لا تُدار من الفراغ، بل من مدن تمثل مراكز السلطة والإدارة والدين والاقتصاد.

رابعًا: وجود لغة معروفة ونظام كتابة.

لقد ترك المصريون الهيروغليفية، والسومريون الكتابة المسمارية، والحثيون كتاباتهم، والصينيون نصوصهم القديمة، والرومان كتاباتهم اللاتينية. أما الحضارة التي لا تترك نصًا واحدًا بلغتها، فإن إثبات وجودها يصبح بالغ الصعوبة.

خامسًا: وجود آثار معمارية يمكن نسبتها إليها.

فالقصور، والمعابد، والأسوار، والطرق، والقنوات، والمقابر، والمنشآت العامة ليست مجرد مبانٍ، بل هي أدلة مادية على وجود دولة ومجتمع منظم.

سادسًا: وجود اقتصاد منظم.

ويظهر ذلك من خلال العملات، والأوزان والمقاييس، ووسائل التجارة، والسجلات الاقتصادية.

سابعًا: وجود مصادر معاصرة.

وهذه من أهم النقاط في رأيي. فالحضارة لا تعرف نفسها فقط، بل يعرفها جيرانها أيضًا. فالمصريون ذكروا الحثيين، والحثيون ذكروا المصريين، والآشوريون ذكروا البابليين، والبابليون ذكروا الآشوريين، والرومان ذكروا الفرس، والفرس ذكروا الرومان. إن الحضارات الكبرى لا تعيش في عزلة عن العالم.

ومن وجهة نظري، فإن أي ادعاء بوجود حضارة عظيمة ينبغي أن يجيب عن هذه الأسئلة السبعة قبل أي شيء آخر.

فإذا قيل إن تارتاريا كانت إمبراطورية حكمت ملايين البشر، فمن الطبيعي أن أسأل:

أين ملوكها؟

- أين نقوشها الرسمية؟
- أين عاصمتها؟
- أين لغتها؟
- أين كتاباتها؟
- أين عملاتها؟
- أين سجلاتها الإدارية؟
- وأين وصفها في المصادر المعاصرة؟

إن هذه الأسئلة ليست تشكيكًا، بل هي الأسئلة نفسها التي يطرحها المؤرخ عند دراسة أي حضارة في العالم.

ولهذا فإنني، قبل أن أقبل أو أرفض فكرة حضارة تارتاريا، سأطبق عليها المعايير نفسها التي أطبقها على مصر القديمة، وبلاد الرافدين، والحثيين، والصين، وروما، وغيرها من الحضارات. فإذا استوفت هذه المعايير فسأتعامل معها بوصفها حضارة تاريخية، أما إذا عجزت الأدلة عن تحقيقها، فإن اسم **Tartaria** يبقى بحاجة إلى تفسير آخر، قد يكون جغرافيًا أو إثنوغرافيًا أو اصطلاحًا استخدمه رسامو الخرائط، لكنه لا يكفي وحده لإثبات وجود حضارة مستقلة.

ومن وجهة نظري، فإن الالتزام بهذه المعايير الموحدة هو الضمان الحقيقي للوصول إلى نتائج علمية، بعيدًا عن التأثر بالروايات الشائعة أو الرغبة في إثبات فرضية مسبقة.

الفصل الرابع

اختبار تارتاريا وفق المعايير الحضارية

من وجهة نظري، لا يكفي أن أقول إن تارتاريا ليست حضارة، بل ينبغي أن أخضعها للمعايير نفسها التي أخضعت لها جميع الحضارات القديمة. فالبحث العلمي لا يقوم على الأحكام المسبقة، وإنما على المقارنة بين الأدلة.

ولذلك سأطرح في هذا الفصل مجموعة من الأسئلة، وأحاول الإجابة عنها اعتمادًا على ما توفره المصادر التاريخية والآثار والوثائق.

أولًا: أين ملوك تارتاريا؟

عندما أدرس مصر القديمة أجد قوائم طويلة لملوكها، من نعرمر إلى رمسيس الثاني وغيرهما. وعندما أدرس الإمبراطورية الحثية أجد أسماء ملوكها من لابارنا إلى

شوبيلوليوما الأول. وكذلك الحال مع الكاشيين، والبابليين، والميديين، والرومان، والصينيين.

أما عند البحث عن تارتاريا، فإنني لا أجد قائمة ملوك معترفًا بها في المصادر التاريخية المعاصرة تحمل لقب **ملك تارتاريا** أو **إمبراطور تارتاريا** بوصفها دولة واحدة. وتنتشر على الإنترنت أسماء وصور تُنسب إلى حكام تارتاريا، لكنها غالبًا لا تستند إلى وثائق أصلية تثبت أنهم حكموا كيانًا سياسيًا بهذا الاسم.

ومن وجهة نظري، فإن غياب الملوك المعروفين يمثل أول فراغ كبير في هذه النظرية.

ثانيًا: أين العاصمة؟

كل حضارة عظمى عرفها التاريخ امتلكت عاصمة أو أكثر.

فالقاهرة لمصر المصرية، وبابل للبابليين، وكيش لكاشيين ، وروما للرومان، وتشانغآن للصين القديمة.

أما تارتاريا، فلا أجد اتفاقًا بين مؤيدي النظرية على مدينة واحدة يمكن اعتبارها عاصمة لها. فبعضهم يذكر مدينة، وآخرون يذكرون مدينة مختلفة، بينما لا يقدم أي طرف وثيقة معاصرة تثبت أن تلك المدينة كانت عاصمة رسمية لدولة اسمها تارتاريا.

ومن وجهة نظري، فإن الإمبراطوريات لا تُدار من مدينة مجهولة.

ثالثًا: أين اللغة؟

إن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي الهوية الثقافية للحضارة.

وقد خلفت لنا الحضارات القديمة آلاف النصوص بلغاتها الأصلية، الأمر الذي مكّن العلماء من دراسة قوانينها، وأديانها، وإدارتها، وحياتها اليومية.

أما في حالة تارتاريا، فلا أجد حتى الآن لغة موثقة تحمل اسم اللغة التارتارية يمكن قراءتها ودراستها بوصفها لغة حضارة مستقلة.

وهنا يطرح سؤال مهم:

إذا كانت تارتاريا قد حكمت نصف العالم، كما يزعم بعضهم، فأين ملايين الوثائق التي يفترض أنها كتبت بلغتها؟

رابعًا: أين النقوش؟

لقد ترك المصريون نقوشًا على جدران المعابد، وترك السومريون آلاف الألواح الطينية، وترك الرومان آلاف النقوش الحجرية، وترك الفرس نقوشهم الملكية.

أما عند البحث عن تارتاريا، فلا أجد حتى الآن نقشًا واحدًا يقول:

أنا ملك تارتاريا.

ولا أجد معبدًا يحمل اسمها، ولا لوحة تأسيس، ولا مرسومًا إداريًا، ولا قانونًا رسميًا صادرًا عن سلطة تحمل هذا الاسم.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الغياب لا يمكن تجاهله عند تقييم الفرضية.

خامسًا: أين العملات؟

تُعد العملات من أقوى الأدلة على وجود الدول، لأنها تحمل أسماء الحكام، ورموز السلطة، وأحيانًا تاريخ سكها.

وقد عثرت البعثات الأثرية على ملايين العملات التي تعود إلى الحضارات القديمة.

لكنني لا أجد عملة أثرية متفقًا على نسبتها إلى دولة اسمها تارتاريا، وتحمل اسمها أو اسم أحد ملوكها بطريقة موثقة.

سادسًا: أين الأرشيف الإداري؟

الإمبراطوريات الكبرى لا تُدار بالروايات الشفهية، بل بالوثائق.

ففي مصر وبلاد الرافدين وروما والصين، عثر الباحثون على مراسلات، وسجلات ضرائب، وعقود بيع، وأوامر ملكية، وإحصاءات سكانية.

أما بالنسبة لتارتاريا، فلا أجد أرشيفًا إداريًا متكاملًا يمكن نسبته إليها.

ومن وجهة نظري، فإن هذه الأسئلة لا تهدف إلى نفي الفكرة مسبقًا، وإنما إلى اختبارها بالطريقة نفسها التي يختبر بها المؤرخ أي فرضية تاريخية.

فإذا كانت تارتاريا حضارة عظيمة، فمن الطبيعي أن تترك آثارًا تتناسب مع حجمها. أما إذا كانت الأدلة الأساسية غائبة، فإنني أجد أن تفسير اسم **Tartaria** بوصفه مصطلحًا جغرافيًا يبدو أكثر اتساقًا مع ما هو متاح من الأدلة.

وفي الفصل القادم سأناقش سؤالًا بالغ الأهمية:

إذا لم تكن تارتاريا حضارة، فمن أين جاء اسم تارتاريا؟ ولماذا ظهر على عشرات الخرائط الأوروبية؟

فهذا السؤال هو مفتاح فهم القضية بأكملها.

الفصل الخامس

من أين جاء اسم تارتاريا؟

من وجهة نظري، فإن فهم أصل اسم **Tartaria** يمثل المفتاح الحقيقي لحل هذا اللغز التاريخي. فقبل أن أتساءل إن كانت تارتاريا حضارة أم لا، يجب أن أعرف أولًا: **من الذي أطلق هذا الاسم؟ ومتى ظهر؟ ولماذا استُخدم؟**

إن الخطأ الذي يقع فيه كثير من الباحثين هو أنهم يبدأون من الخرائط، ثم يحاولون بناء تاريخ كامل اعتمادًا على كلمة واحدة كُتبت عليها. أما المنهج التاريخي الصحيح، فيبدأ بالسؤال عن أصل الكلمة نفسها، ثم يتتبع تطورها عبر الزمن.

لقد ظهر اسم **Tartaria** في عدد كبير من الخرائط والكتب الأوروبية منذ أواخر العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث. لكن هذا الاسم لم يظهر أولًا في وثائق صادرة عن شعب يسمى التتاريين، ولم أجده في نقش ملكي يقول: أنا ملك تارتاريا، ولا في قانون رسمي يحمل هذا الاسم.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الأمر بالغ الأهمية؛ لأن أسماء الدول والحضارات الكبرى غالبًا ما تصلنا من مصدرين:

. إما أن يطلقها أصحابها على أنفسهم.

. أو أن يذكرها جيرانهم في وثائق معاصرة.

أما في حالة **Tartaria**، فإن الاسم اشتهر أساسًا في الأدبيات والخرائط الأوروبية.

ويرى كثير من الباحثين أن أصل الكلمة مرتبط بالتسميات الأوروبية التي كانت تُطلق على مجموعات مختلفة من الشعوب التي سكنت أجزاء واسعة من آسيا، ولا سيما بعد توسعات الإمبراطورية المغولية في القرن الثالث عشر. ومع مرور الزمن، أصبح الأوروبيون يستخدمون لفظ **Tartars** للإشارة إلى شعوب متعددة، رغم أنها لم تكن شعبًا واحدًا ولا دولة واحدة.

ومن وجهة نظري، فإن هذه النقطة تفسر سبب اتساع مساحة "تارتاريا" في الخرائط القديمة؛ إذ إن رسامي الخرائط كانوا يجمعون أقاليم شاسعة تحت اسم عام، كما استخدموا في خرائط أخرى أسماء واسعة مثل **Scythia** أو **Sarmatia**، دون أن يعني ذلك وجود دولة موحدة تحمل هذه الأسماء.

ومن اللافت أيضًا أن اسم **Tartaria** لم يكن ثابتًا في جميع الخرائط، بل كان يتغير بحسب الزمان والمكان. ففي بعض الخرائط نجد:

- Great Tartary
- Chinese Tartary
- Independent Tartary
- Russian Tartary

ومن وجهة نظري، فإن هذا التنوع في التسمية يدل على أن الجغرافيين الأوروبيين كانوا يتعاملون مع الاسم بوصفه وصفًا جغرافيًا أو إقليميًا، لا بوصفه اسم دولة ذات حدود وسلطة مركزية.

ولو كانت تارتاريا إمبراطورية موحدة، لكان المتوقع أن نجد اسمًا رسميًا واحدًا، وعاصمة معروفة، وسلالة حاكمة محددة، كما هو الحال في الإمبراطوريات التاريخية الأخرى.

إنني أرى أن مجرد ظهور اسم على الخرائط لا يكفي لإثبات وجود حضارة، لأن الخرائط تمثل رؤية رسامها للعالم في عصره، وقد تتضمن أسماء جغرافية، أو إثنية، أو قبلية، أو حتى أسماء أصبحت لاحقًا مهجورة.

ولهذا السبب سأنتقل في الفصل القادم إلى دراسة أولى الخرائط التي ظهر فيها اسم **Tartaria**، وتحليلها واحدةً تلو الأخرى، لمعرفة ما إذا كانت تدعم فعلًا فكرة وجود حضارة عظيمة، أم أنها تعكس فقط الطريقة التي كان الجغرافيون الأوروبيون ينظرون بها إلى آسيا في تلك الحقبة.

الفصل السادس

هل ظهرت تارتاريا في المصادر التاريخية المعاصرة؟

من وجهة نظري، فإن الخرائط ليست المصدر الوحيد الذي يجب أن أعتمد عليه عند دراسة أي كيان تاريخي. فالخرائط تمثل رؤية الجغرافي، أما التاريخ فيُكتب اعتمادًا على مجموعة واسعة من المصادر، مثل السجلات الرسمية، والمراسلات، والرحلات، والنقوش، والوثائق الدبلوماسية، والأخبار التي سجلها المعاصرون للأحداث.

ولهذا السبب أطرح سؤالًا أراه من أهم أسئلة هذا الكتاب:

هل ذكرت المصادر التاريخية المعاصرة وجود دولة أو حضارة اسمها تارتاريا؟

إن الإجابة عن هذا السؤال يجب أن تكون مبنية على البحث في الوثائق الأصلية، لا على الروايات الحديثة.

فعندما أدرس الإمبراطورية الرومانية، أجد آلاف الوثائق التي كتبها الرومان أنفسهم، بالإضافة إلى ما كتبه عنهم اليونان والبارثيين والمصريون وغيرهم. وعندما أدرس الدولة الساسانية، أجد النقوش الملكية، والعملات، والوثائق السريانية، والبيزنطية، والأرمنية، والعربية التي تحدثت عنها.

أما عند البحث عن تارتاريا بوصفها حضارة مستقلة، فإنني لا أجد الكم نفسه من الأدلة الذي نجده عند دراسة أي حضارة معروفة.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الغياب لا يمكن تجاوزه بسهولة، لأن الحضارات الكبرى لا تختفي من ذاكرة الشعوب المجاورة لها.

ولو افترضنا – على سبيل الجدل – أن تارتاريا كانت إمبراطورية حكمت معظم آسيا، كما يزعم بعض مؤيدي النظرية، فمن الطبيعي أن نجد وصفًا واضحًا لها في المصادر الصينية، والبارثية، والعربية، والبيزنطية، والهندية، وغيرها.

لكن الذي أجده في كثير من هذه المصادر هو الحديث عن شعوب وقبائل وممالك متعددة، لكل منها اسمها وحكامها وأقاليمها، وليس عن إمبراطورية موحدة تحمل اسم تارتاريا.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الفرق جوهري.

فالاسم الذي يطلقه رسام خريطة على إقليم واسع لا يساوي بالضرورة اسم دولة اعترفت بها الأمم الأخرى.

ولذلك فإنني أميز دائمًا بين نوعين من المصادر:

الأول: المصادر الجغرافية، وهي التي تصف شكل العالم وتقسمه إلى أقاليم ومناطق.

الثاني: المصادر التاريخية والسياسية، وهي التي تتحدث عن الدول، والملوك، والحروب، والمعاهدات، والإدارات.

وهذا التمييز ضروري، لأن الخلط بينهما يؤدي إلى استنتاجات غير دقيقة.

ومن وجهة نظري، فإن كثيرًا من مؤيدي نظرية تارتاريا يركزون على النوع الأول، بينما يهملون النوع الثاني، مع أن التاريخ السياسي لأي إمبراطورية لا يمكن إثباته بالخرائط وحدها.

إن المؤرخ لا يسأل فقط: **هل ظهر الاسم؟**، بل يسأل أيضًا:

. من استخدم هذا الاسم؟

. وفي أي سياق؟

. وهل كان يقصد دولة أم إقليمًا؟

. وهل استخدمه المعاصرون جميعًا، أم اقتصر على بعض الجغرافيين الأوروبيين؟

. وهل يوجد ما يؤكد هذا الاستخدام في مصادر مستقلة؟

ومن وجهة نظري، فإن الإجابة عن هذه الأسئلة أكثر أهمية من مجرد العثور على اسم مكتوب فوق مساحة كبيرة في خريطة قديمة.

ولهذا سأخصص الفصول القادمة لتحليل أشهر الوثائق والخرائط الأوروبية التي استخدمت اسم **Tartaria**، وسأقارن بينها وبين المصادر التاريخية المعاصرة، حتى أصل إلى نتيجة تقوم على المقارنة بين الأدلة، لا على دليل منفرد قد يقود إلى استنتاج مضلل.

الفصل السابع

هل كانت تارتاريا إمبراطورية عالمية؟

من وجهة نظري، فإن أكثر الادعاءات انتشارًا بين مؤيدي نظرية تارتاريا هو القول بأنها لم تكن مجرد دولة، بل كانت **إمبراطورية عالمية** امتدت من أوروبا الشرقية إلى المحيط الهادئ، وربما شملت أجزاءً من أمريكا الشمالية وأفريقيا، وأنها كانت القوة العظمى التي حكمت العالم قبل أن يتم محوها من التاريخ.

وعندما قرأت هذا الادعاء لأول مرة، كان أول سؤال خطر ببالي هو:

إذا كانت تارتاريا قد حكمت العالم، فأين آثار هذه الإمبراطورية؟

إن الإمبراطوريات لا تُقاس باتساع الخرائط فقط، بل بما تتركه وراءها من شواهد لا يستطيع الزمن إخفاءها.

فالإمبراطورية الرومانية، رغم سقوطها قبل أكثر من ألف وخمسمائة عام، ما زالت طرقها وجسورها ومدنها وقوانينها وعملاتها ونقوشها قائمة حتى اليوم.

والإمبراطورية البارثية الأخمينية تركت قصور برسبوليس، والنقوش الملكية، والطرق الإمبراطورية، والعملات.

والصين الإمبراطورية خلفت سورها العظيم، وآلاف الوثائق، والمدن، والسلالات الحاكمة.

بل إن إمبراطوريات أصغر بكثير من الإمبراطورية التي يتحدث عنها أنصار تارتاريا تركت لنا أدلة يصعب حصرها.

ومن وجهة نظري، فإن الإمبراطورية التي يُقال إنها سيطرت على معظم العالم لا يمكن أن تختفي بالكامل، وكأنها لم توجد أصلًا.

ولو افترضنا جدلًا أن جميع مبانيها دُمرت، فهل اختفت أيضًا:

- جميع وثائقها؟
- جميع نقوشها؟
- جميع عملاتها؟
- جميع قوانينها؟
- جميع معابدها؟
- جميع مقابر ملوكها؟
- جميع لغاتها؟
- جميع سجلاتها الإدارية؟

إن هذا الافتراض يتطلب الإيمان بأن عملية محو شملت قارات متعددة، ولغات مختلفة، وشعوبًا لا حصر لها، دون أن تترك أثرًا واحدًا يثبت حدوثها.

ومن وجهة نظري، فإن مثل هذا الادعاء يحتاج إلى أدلة تفوق بكثير الأدلة المطلوبة لإثبات وجود أي حضارة عادية.

لقد عرفت البشرية حروبًا مدمرة، وغزوات، وحرائق، وزلازل، وفيضانات، وسقوط إمبراطوريات، ومع ذلك بقيت آثار تلك الحضارات محفوظة بدرجات متفاوتة.

فحتى الحضارات التي اندثرت منذ آلاف السنين ما زال علماء الآثار يعثرون كل عام على نصوص جديدة، وتماثيل، وأختام، وقطع نقدية، وعقود، ورسائل.

أما في حالة تارتاريا، فإنني لا أجد هذا النوع من الأدلة الذي يتناسب مع حجم الإمبراطورية المزعومة.

ومن وجهة نظري، فإن هناك فرقًا كبيرًا بين **غياب الأدلة** و**ادعاء إخفاء الأدلة**.

فالقول إن الأدلة لم تُكتشف بعد هو احتمال يمكن مناقشته.

أما القول إن العالم كله اشترك في إزالة جميع الأدلة من كل القارات، فهو ادعاء يحتاج هو نفسه إلى أدلة مستقلة تثبت حدوث هذه العملية.

ولا يمكن في البحث التاريخي أن أفسر غياب الوثائق بالقول إنها أُخفيت، ثم أستخدم هذا الإخفاء نفسه دليلًا

على وجود الحضارة؛ لأن ذلك يؤدي إلى دائرة منطقية مغلقة، لا يمكن اختبارها أو التحقق منها.

ولهذا أرى أن المؤرخ يجب أن ينطلق دائمًا من قاعدة بسيطة:

كلما كان الادعاء أكبر، كانت الحاجة إلى الأدلة أقوى.

وهذه القاعدة هي التي سألتزم بها في جميع الفصول القادمة، لأن هدفي ليس نفي أي فرضية لمجرد مخالفتها للرأي السائد، ولا قبولها لمجرد انتشارها، وإنما وزنها بميزان الأدلة التاريخية، وهو الميزان الذي يجب أن يخضع له كل ادعاء، مهما كان جذابًا أو مثيرًا للاهتمام.

الفصل الثامن

هل تثبت المباني القديمة وجود حضارة تارتاريا؟

من وجهة نظري، فإن أكثر ما جذب ملايين الناس إلى نظرية تارتاريا ليس الخرائط، وإنما الصور المذهلة للمباني الضخمة المنتشرة في أوروبا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية، والتي يقال إنها من بقايا حضارة متقدمة أُخفي تاريخها.

وتُعرض على شبكة الإنترنت صور لقصور، ومحطات قطارات، ومتاحف، وكنائس، ومباني حكومية، ويُقال

إنها لا يمكن أن تكون قد شُيدت بالتقنيات المعروفة في القرن التاسع عشر، وأنها في الحقيقة آثار حضارة تارتاريا التي استولى عليها الحكام الجدد بعد سقوطها.

ومن وجهة نظري، فإن هذه الفرضية تستحق الدراسة، لكنها لا تُقبل أو تُرفض بمجرد الإعجاب بضخامة المباني.

فالمؤرخ لا يبدأ بالسؤال:

هل المبنى جميل؟

بل يبدأ بالسؤال:

. متى بُني؟

. من الذي صممه؟

. من الذي موّل بناءه؟

. هل توجد مخططات هندسية؟

. هل توجد عقود إنشاء؟

. هل توجد صور أثناء البناء؟

. هل توجد سجلات مالية؟

. وهل توجد صحف معاصرة تحدثت عن عملية التشييد؟

إن هذه الأسئلة هي التي تحول المبنى من صورة متداولة على الإنترنت إلى وثيقة تاريخية يمكن التحقق منها.

ولو أخذت مثالًا على أحد المباني الكبرى في أوروبا، فإنني غالبًا أجد أرشيفًا كاملًا يتضمن اسم المهندس، وسنة وضع حجر الأساس، وتكاليف البناء، وعدد العمال، والمراحل التي مر بها المشروع، بل وأحيانًا صورًا فوتوغرافية التُقطت أثناء التنفيذ.

ومن وجهة نظري، فإن وجود هذه السجلات لا ينسجم مع الادعاء بأن المبنى يعود إلى حضارة مجهولة ثم نُسب لاحقًا إلى غير أصحابه، إلا إذا وُجد دليل مستقل يثبت أن هذه الوثائق مزورة، وهو ادعاء يحتاج بدوره إلى أدلة قوية.

ويستشهد بعض مؤيدي النظرية بضخامة الأعمدة، والقباب، والزخارف، ويعتبرونها دليلًا على وجود تقنية مفقودة.

لكن التاريخ المعماري يعلمنا أن الحضارات المختلفة شيدت مباني مدهشة قبل ظهور الآلات الحديثة.
فالمصريون بنوا الأهرامات، والرومان شيدوا القباب والجسور، والبيزنطيون أقاموا الكنائس الضخمة،

والعثمانيون أبدعوا في بناء المساجد، وكل ذلك موثق بالنصوص والآثار.

ولذلك فإن ضخامة المبنى وحدها لا تثبت هوية من بناه.

ومن وجهة نظري، فإن الخطأ المنهجي هنا هو الانتقال مباشرة من الإعجاب بالعمارة إلى الاستنتاج التاريخي، دون المرور بمرحلة التحقق من الوثائق.

كما ألاحظ أن كثيرًا من الصور المتداولة على الإنترنت تُقتطع من سياقها. فقد تُعرض صورة لمبنى تاريخي دون ذكر اسمه، أو مكانه، أو سنة إنشائه، أو الغرض الذي بُني من أجله، ثم يُطلب من المشاهد أن يستنتج بنفسه أنه من آثار تارتاريا.

إن هذه الطريقة لا تتفق مع منهج البحث التاريخي، لأن الصورة، مهما كانت مبهرة، لا تغني عن الوثيقة.

ومن وجهة نظري، فإن أي مبنى يُنسب إلى تارتاريا يجب أن يخضع للدراسة الفردية. فلا يجوز تعميم الحكم على آلاف المباني دفعة واحدة، بل ينبغي فحص كل مبنى على حدة، والرجوع إلى أرشيفه، ومقارنة ما تقوله الوثائق بما يُتداول عنه على الإنترنت.

ولهذا السبب، سأخصص في الفصول القادمة دراسات حالة لمبانٍ يكثر الاستشهاد بها، وسأبحث في تاريخ كل

واحد منها، والوثائق المتعلقة به، ثم أقارن بين الرواية التاريخية والادعاءات الحديثة، حتى أصل إلى نتيجة تستند إلى الأدلة، لا إلى الانطباعات.

الفصل التاسع: المدن المدفونة... هل تعرضت حضارة تارتاريا لعملية طمر متعمدة؟

من وجهة نظري، فإن أكثر الصور التي أثارت اهتمام الناس في السنوات الأخيرة هي صور المباني التي تظهر نوافذها وأبوابها السفلية تحت مستوى الشارع الحالي. وقد اعتبر كثير من مؤيدي نظرية تارتاريا أن هذه الصور دليل على وقوع كارثة عالمية دفنت مدنًا كاملة بطبقات هائلة من الطين، ثم أُعيد بناء العالم فوقها، بينما اختفت الحضارة الأصلية من كتب التاريخ.

وللوهلة الأولى، تبدو هذه الصور محيرة. فكيف يصبح باب مبنى يقع في الطابق الأرضي مدفونًا عدة أمتار تحت سطح الشارع؟ وكيف تتحول نافذة كانت تطل على الطريق إلى نافذة تقع داخل القبو؟

هذه الأسئلة مشروعة، ولا يجوز للمؤرخ أن يتجاهلها، بل يجب أن يبحث عن تفسيرها من خلال الأدلة الهندسية والأثرية والتاريخية.

ومن وجهة نظري، فإن أول خطأ يقع فيه كثير من الباحثين هو افتراض أن جميع المباني التي تظهر فيها هذه الظاهرة تعرضت للسبب نفسه. بينما الواقع التاريخي يبين أن المدن ليست كيانات ثابتة، بل تتغير باستمرار عبر القرون.

فالمدن ترتفع وتنخفض مستوياتها نتيجة عوامل متعددة، منها إعادة رصف الشوارع، وإضافة طبقات جديدة من الطرق، وبناء شبكات الصرف الصحي، ورفع منسوب الأرصفة، وإعادة تنظيم البنية التحتية، إضافة إلى تراكم الأنقاض الناتجة عن الحرائق والزلازل والحروب والهدم وإعادة البناء.

ولو أخذت مدينة عاشت ألف عام، فإنني أتوقع أن يتغير مستوى شوارعها مرات عديدة، لأن كل جيل يبني فوق آثار الجيل السابق. ولهذا السبب يجد علماء الآثار المدن القديمة مدفونة تحت المدن الحديثة، ليس بسبب كارثة واحدة بالضرورة، وإنما بسبب تراكم عمراني استمر قرونًا طويلة.

ومن وجهة نظري، فإن هذا التراكم العمراني ظاهرة معروفة في علم الآثار، وقد شوهدت في عشرات المدن التاريخية.

ولو كانت جميع المباني المدفونة دليلًا على حضارة تارتاريا، لكان علينا أن ننسب الظاهرة نفسها إلى مدن تعود إلى العصور الرومانية واليونانية والإسلامية والبيزنطية، لأن علماء الآثار وجدوا في جميع هذه المدن طبقات متراكمة من البناء والهدم.

ويستشهد بعض مؤيدي النظرية بما يسمونه **طوفان الطين**، ويقولون إن العالم تعرض في القرن التاسع عشر لكارثة غطت المدن بطبقة واحدة من الطين، ثم أُخفيت الحقيقة.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الادعاء يحتاج إلى أدلة جيولوجية قبل أن يحتاج إلى صور فوتوغرافية.

فإذا وقع حدث جيولوجي عالمي بهذا الحجم، فمن الطبيعي أن يترك آثارًا واضحة في الرواسب الأرضية، وأن تسجله المراصد العلمية، وأن تذكره الصحف، وأن تتحدث عنه الحكومات، وأن تظهر آثاره في سجلات الموانئ والأنهار والبحار، لأن كارثة بهذا الحجم لا يمكن أن تمر دون أن يلاحظها العالم.

ولو حدث ذلك في القرن التاسع عشر، لوجدنا آلاف الوثائق الرسمية التي تصفه، لأن ذلك القرن شهد انتشار الصحافة، والتصوير الفوتوغرافي، والبرقيات، والأرشيفات الحكومية.

لكنني لا أجد حتى الآن دليلًا تاريخيًا متماسكًا يثبت وقوع كارثة عالمية بهذا الوصف.

وهذا لا يعني أن جميع الصور المنتشرة على الإنترنت خاطئة، بل يعني أن تفسيرها يجب أن يكون مبنيًا على دراسة كل مدينة على حدة.

فقد يكون مبنى ما انخفض بسبب هبوط التربة، بينما ارتفع مستوى الشارع في مدينة أخرى نتيجة أعمال عمرانية، وقد تكون هناك مدينة ثالثة تعرضت لفيضان كبير غطى أجزاء منها بالرواسب.

ومن وجهة نظري، فإن الجمع بين جميع هذه الحالات المختلفة تحت تفسير واحد هو تبسيط لا يساعد على فهم التاريخ.

إنني لا أنكر وجود مبانٍ أصبحت طوابقها السفلية تحت مستوى الأرض، فهذه حقيقة يمكن مشاهدتها في مدن كثيرة. لكن السؤال الحقيقي ليس: **هل المباني مدفونة؟** بل: **ما السبب الذي أدى إلى ذلك في كل حالة؟**

وهنا أرى أن المنهج العلمي يفرض عليَّ دراسة كل موقع دراسة مستقلة، والرجوع إلى خرائطه القديمة، وسجلاته البلدية، وتقاريره الهندسية، قبل الوصول إلى أي استنتاج.

الفصل العاشر

المعارض العالمية... هل كانت حضارة تارتاريا وراء بنائها؟

من وجهة نظري، فإن كثيرًا من مؤيدي نظرية تارتاريا يعتبرون المعارض العالمية التي أقيمت في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أقوى دليل على وجود حضارة متقدمة اختفت من التاريخ. ويستشهدون بصور القصور العملاقة، والقباب الهائلة، والأبراج، والتماثيل، والحدائق الواسعة، ثم يطرحون سؤالًا يبدو مقنعًا لأول وهلة:

كيف استطاع البشر في ذلك العصر بناء كل هذه المنشآت خلال سنوات قليلة فقط؟

وقد شاهدت عشرات المقاطع التي تزعم أن تلك المباني لم يشيدها المهندسون المعروفون، وإنما كانت موجودة أصلًا، وأن الحكومات استولت عليها ثم نسبت بناءها إلى نفسها، وبعد انتهاء المعارض قامت بهدمها لإخفاء آثار حضارة تارتاريا.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الادعاء يستحق الدراسة، لكن لا يمكن قبوله قبل الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الأساسية.

أول هذه الأسئلة:

هل كانت جميع مباني المعارض مبنية بالحجر والرخام؟

إن مراجعة الوثائق الهندسية الخاصة بعدد كبير من المعارض العالمية تبين أن كثيرًا من مبانيها لم تكن منشآت دائمة، بل كانت مباني مؤقتة صُممت خصيصًا لفترة المعرض.

وقد استخدم المهندسون في ذلك الوقت مواد مثل الخشب، والحديد، والجص، والزجاج، ومواد خفيفة أخرى تسمح ببناء واجهات ضخمة خلال فترة قصيرة، ثم تفكيكها بعد انتهاء الحدث.

ومن وجهة نظري، فإن هذه الحقيقة تغير طريقة النظر إلى تلك الصور. فالمبنى الذي يبدو كقصر حجري قد يكون في الواقع هيكلًا خشبيًا مكسوًا بالجص والزخارف، صُمم ليمنح الزائر انطباعًا بالعظمة، لا ليبقى قائمًا مئات السنين.

السؤال الثاني الذي أطرحه هو:

إذا كانت تلك المباني آثار حضارة قديمة، فلماذا توجد آلاف الصور التي توثق مراحل إنشائها؟

لقد شهد القرن التاسع عشر انتشار التصوير الفوتوغرافي، ولذلك احتفظت بعض المدن بصور تُظهر مواقع البناء وهي أرض فارغة، ثم مراحل إقامة الهياكل، ثم اكتمال المباني، ثم تفكيكها بعد انتهاء المعرض.

ومن وجهة نظري، فإن وجود مثل هذا التسلسل الزمني يمثل دليلًا يجب التعامل معه بجدية. فإذا قيل إن هذه الصور مزورة، فإن عبء الإثبات ينتقل إلى من يدعي التزوير، لأن الأصل في الوثائق التاريخية هو قبولها حتى يثبت العكس بأدلة واضحة.

أما السؤال الثالث فهو:

لماذا هُدمت بعض تلك المباني بعد انتهاء المعرض؟

يُفسر بعض مؤيدي نظرية تارتاريا عملية الهدم بأنها محاولة لإزالة آثار الحضارة القديمة.

لكن من وجهة نظري، يوجد تفسير آخر ينبغي مناقشته أولًا، وهو أن المباني المؤقتة لم تُصمم أصلًا لتبقى عشرات السنين، بل أنشئت لخدمة حدث مؤقت، ثم أزيلت بعد انتهاء وظيفتها، كما يحدث في كثير من المعارض والمهرجانات حتى يومنا هذا.

وهنا أطرح سؤالًا أراه مهمًا:

إذا كانت الحكومات تريد محو حضارة كاملة، فلماذا سمحت أصلًا لملايين الزوار بدخول تلك المباني، وتصويرها، ونشر صورها في الصحف، وطباعة بطاقات بريدية لها، وبيع كتب كاملة تصف تفاصيلها؟

إن من يريد إخفاء أثر تاريخي لا يجعله أشهر معلم في عصره.

ومن وجهة نظري، فإن هذه المفارقة تستحق التأمل.

كما ألاحظ أن بعض مقاطع الإنترنت تجمع صورًا من معارض مختلفة أقيمت في دول متعددة وعلى مدى عشرات السنين، ثم تعرضها وكأنها جزء من مدينة واحدة أو حضارة واحدة، دون الإشارة إلى اختلاف المكان والزمان والجهة المنظمة.

إن هذه الطريقة قد تؤدي إلى تكوين انطباع بصري قوي، لكنها لا تكفي لإثبات فرضية تاريخية.

ولهذا أرى أن كل معرض عالمي يجب أن يُدرس بصورة مستقلة، بالرجوع إلى وثائقه الأصلية، ومخططاته الهندسية، وسجلاته المالية، والصحف التي غطت أحداثه، بدل الاكتفاء بمقاطع مختصرة لا تعرض الصورة كاملة.

ومن وجهة نظري، فإن البحث التاريخي لا يقوم على السؤال: **هل يبدو المبنى مدهشًا؟**، بل على السؤال: **هل توجد أدلة معاصرة تشرح متى بُني، وكيف بُني، ومن بناه؟**

الفصل الحادي عشر

هل يمكن إخفاء حضارة عالمية من التاريخ؟

من وجهة نظري، فإن جوهر نظرية تارتاريا لا يقوم على وجود حضارة مجهولة فحسب، بل يقوم على فرضية أخرى أكثر تعقيدًا، وهي أن العالم بأسره شارك في إخفاء تاريخ تلك الحضارة، وإزالة جميع آثارها، وإعادة كتابة التاريخ بحيث لا يبقى لها أي ذكر.

وهنا أطرح سؤالًا أراه من أهم أسئلة هذا الكتاب:

هل يمكن عمليًا إخفاء حضارة عالمية من التاريخ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال لا تعتمد على الرأي الشخصي، بل على طبيعة حفظ المعرفة عبر العصور.

فعندما أدرس تاريخ البشرية، أجد أن المعرفة لم تكن محفوظة في مكان واحد، ولا عند شعب واحد، ولا بلغة واحدة.

لقد كتبت الحضارات تاريخها بلغات مختلفة، مثل المصرية القديمة، والمسمارية، واليونانية، واللاتينية،

والصينية، والعربية، والبارثية، والسريانية، والأرمنية، وغيرها. كما احتفظت الأديرة، والمكتبات، والجامعات، والأرشيفات الحكومية، والمجموعات الخاصة، بنسخ متعددة من الوثائق والخرائط والمراسلات.

ومن وجهة نظري، فإن هذا التنوع يجعل عملية محو تاريخ حضارة عالمية أمرًا بالغ الصعوبة.

فلو افترضنا أن حضارة حكمت جزءًا كبيرًا من العالم، فمن الطبيعي أن نجد إشارات إليها في آلاف الوثائق المحفوظة في دول مختلفة، كتبت بلغات مختلفة، وعلى يد مؤلفين لا تربط بينهم أي جهة سياسية واحدة.

ولو أراد أحد أن يمحو تلك الحضارة من التاريخ، لما كان عليه أن يغيّر كتابًا واحدًا أو أرشيفًا واحدًا، بل كان عليه أن يصل إلى ملايين الوثائق المنتشرة في أنحاء العالم، وأن يزيلها جميعًا دون أن يترك أثرًا لعملية الإزالة.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الافتراض يزداد تعقيدًا كلما اقتربنا من العصر الحديث.

فالقرن التاسع عشر، على سبيل المثال، شهد انتشار الطباعة على نطاق واسع، وظهور الصحف اليومية، وتأسيس المكتبات الوطنية، وازدياد تبادل الكتب بين

الدول، إضافة إلى التصوير الفوتوغرافي، والبرقيات، والأرشيفات الحكومية المنظمة.

فإذا كانت حضارة تارتاريا قد اختفت في تلك الفترة، كما يذهب بعض مؤيدي النظرية، فإن السؤال الذي أطرحه هو:

كيف أمكن حذفها من جميع الصحف، وجميع الأرشيفات، وجميع المكتبات، وجميع الجامعات، وفي مختلف الدول واللغات، دون أن تبقى وثيقة واحدة تصف عملية الحذف نفسها؟

إن من طبيعة الأحداث الكبرى أن تترك أثرًا في مصادر متعددة.

فعلى سبيل المثال، عندما سقطت الإمبراطورية الرومانية، لم تختفِ أخبارها، بل سجلها الرومان، والبيزنطيون، والبارثيين، وغيرهم.

وعندما اجتاح المغول أجزاء واسعة من آسيا وأوروبا، لم يكتب عنهم المغول وحدهم، بل كتب عنهم المسلمون، والصينيون، والروس، والأوروبيون، والأرمن، وغيرهم.

وهذا التنوع في الشهادات هو الذي يسمح للمؤرخ بإعادة بناء الأحداث.

أما إذا قيل إن حضارة عالمية اختفت بالكامل، واختفت معها جميع الوثائق في جميع البلدان، فإنني أرى أن عبء الإثبات يصبح كبيرًا للغاية.

ومن وجهة نظري، فإن هناك فرقًا مهمًا بين أمرين يختلطان أحيانًا:

الأول، أن يكون هناك نقص في المعلومات عن فترة تاريخية معينة، وهذا أمر طبيعي في التاريخ.

والثاني، أن يُقال إن جميع الأدلة أُزيلت عمدًا من العالم كله.

إن النقص في المعلومات يمكن تفسيره بضياع الوثائق أو قلة الاكتشافات الأثرية، أما الادعاء بوجود عملية محو عالمية منظمة، فهو يحتاج إلى وثائق تثبت وقوع تلك العملية نفسها.

ومن وجهة نظري، لا يكفي أن أغيب الوثائق حتى أستنتج وجود مؤامرة لإخفائها، لأن غياب الدليل ليس دليلًا تلقائيًا على الإخفاء.

ولهذا السبب ألتزم في هذا الكتاب بقاعدة أعدّها من أهم قواعد البحث التاريخي:

لا يجوز تفسير غياب الدليل بأنه دليل على وجود حدث تاريخي، إلا إذا وُجدت أدلة مستقلة تثبت أن ذلك الدليل قد أُزيل عمدًا.

إن هذه القاعدة لا تخص تارتاريا وحدها، بل تنطبق على جميع الدراسات التاريخية، لأنها تحمي الباحث من الوصول إلى نتائج مبنية على الافتراضات بدل الوثائق.

الفصل الثاني عشر

ماذا كان يقصد الأوروبيون بعبارة Great Tartary؟

من وجهة نظري، فإن كثيرًا من الجدل حول تارتاريا بدأ من سوء فهم عبارة واحدة ظهرت في عدد من الخرائط الأوروبية، وهي:

Great Tartary

وقد تعامل بعض الباحثين مع هذه العبارة على أنها الاسم الرسمي لإمبراطورية عظيمة، بينما أرى أن المؤرخ لا يجوز له أن يكتفي بقراءة الاسم، بل يجب أن يدرس اللغة الجغرافية التي كانت سائدة في العصر الذي رُسمت فيه تلك الخرائط.

فعندما أراجع خرائط أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، أجد أنها كانت مليئة بأسماء

لا تعبر بالضرورة عن دول سياسية، بل عن أقاليم جغرافية واسعة.

فعلى سبيل المثال، استخدم الجغرافيون الأوروبيون أسماء مثل:

1. **Arabia**
2. **Persia**
3. **India**
4. **Scythia**
5. **Ethiopia**
6. **Tartary**

ومن وجهة نظري، فإن هذه الأسماء لم تكن دائمًا تشير إلى دولة واحدة ذات حكومة مركزية وحدود دقيقة، وإنما كانت في كثير من الأحيان أوصافًا جغرافية لمناطق واسعة تضم شعوبًا متعددة.

ولو تأملت خرائط تلك الفترة، لوجدت أن كلمة **India** لم تكن تعني الدولة الحديثة التي نعرفها اليوم، بل كانت أحيانًا تطلق على مساحات أوسع بكثير.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى **Arabia**، فقد كانت تُقسم في بعض الخرائط إلى:

- Arabia Petraea.
- Arabia Deserta.
- Arabia Felix.

ولم يكن ذلك يعني وجود ثلاث دول مستقلة، بل كان تقسيمًا جغرافيًا متبعًا في ذلك العصر.

ومن وجهة نظري، فإن عبارة **Great Tartary** يجب أن تُفهم في السياق نفسه.

فكلمة **Great** لم تكن تعني بالضرورة الإمبراطورية العظمى، وإنما كانت تستخدم أحيانًا للدلالة على الاتساع الجغرافي، كما في أسماء أخرى ظهرت على الخرائط الأوروبية.

ولهذا السبب لا أرى أن وجود عبارة **Great Tartary** وحدها يكفي لإثبات وجود دولة موحدة.

بل إن مراجعة الخرائط نفسها تكشف أن المنطقة التي أطلق عليها هذا الاسم لم تكن ذات حدود ثابتة.

ففي بعض الخرائط تتسع حدودها، وفي خرائط أخرى تنكمش.

وأحيانًا تُقسم إلى:

- Chinese Tartary.

- Russian Tartary.
- Independent Tartary.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الاختلاف في التقسيم لا يشبه ما نجده في الإمبراطوريات المعروفة.

فعندما يرسم الجغرافيون الإمبراطورية الرومانية أو الدولة العثمانية أو الدولة الصفوية، فإنهم يرسمون حدودًا سياسية مرتبطة بسلطة حاكمة معروفة.

أما في حالة تارتاريا، فإن الحدود تختلف اختلافًا كبيرًا من خريطة إلى أخرى، مما يدل على أن رسامي الخرائط كانوا يستخدمون الاسم بوصفه وصفًا جغرافيًا أكثر منه اسمًا لدولة.

وهنا أطرح سؤالًا أراه مهمًا:

إذا كانت Great Tartary دولة واحدة، فلماذا لم أجد دستورًا لها؟

أين قوانينها؟

أين مراسيمها؟

أين الضرائب التي فرضتها؟

أين أسماء ولاياتها الرسمية؟

أين أسماء وزرائها؟

أين السفراء الذين مثلوا هذه الإمبراطورية في الدول الأخرى؟

إن الإمبراطوريات لا تُعرف فقط من خلال الخرائط، بل من خلال نشاطها السياسي والإداري والاقتصادي.

ومن وجهة نظري، فإن غياب هذه العناصر يجعل من الصعب اعتبار **Great Tartary** اسمًا لإمبراطورية موحدة.

بل إنني أرى أن كثيرًا من الجدل كان يمكن تجنبه لو فُهمت الخرائط الأوروبية في إطارها التاريخي، لا من خلال إسقاط المفاهيم السياسية الحديثة عليها.

فالجغرافي الأوروبي في القرن السابع عشر لم يكن يرسم العالم بالطريقة التي يرسمها بها الجغرافي في القرن الحادي والعشرين، ولم تكن لديه دائمًا معلومات دقيقة عن كل منطقة، ولذلك كان يلجأ إلى أسماء عامة تشمل أقاليم واسعة وشعوبًا متعددة.

ومن وجهة نظري، فإن أول قاعدة يجب أن يلتزم بها الباحث عند قراءة الخرائط القديمة هي:

الخريطة ليست وثيقة لإثبات وجود حضارة، وإنما هي وثيقة تعكس معرفة رسامها بالعالم في عصره.

الفصل الثالث عشر

الأخطاء المنهجية في الاستدلال على حضارة تارتاريا

من وجهة نظري، فإن المشكلة الأساسية في نظرية تارتاريا ليست في كثرة الصور أو الخرائط التي يستشهد بها مؤيدوها، وإنما في الطريقة التي تُفسَّر بها تلك الأدلة. فالنتيجة التاريخية لا تعتمد على وجود صورة أو خريطة فحسب، بل تعتمد على المنهج الذي يُستخدم في تحليلها.

لقد لاحظت أثناء مراجعة مئات المقاطع والمقالات المتعلقة بتارتاريا أن كثيرًا منها يقع في أخطاء منهجية متكررة، تؤدي إلى نتائج لا يمكن قبولها في البحث التاريخي.

أولًا: الخلط بين الاسم الجغرافي والدولة السياسية

من وجهة نظري، يعد هذا أكثر الأخطاء انتشارًا.

فمجرد ظهور اسم **Tartaria** على خريطة لا يعني تلقائيًا وجود دولة اسمها تارتاريا، تمامًا كما أن ظهور اسم **Siberia** أو **Scandinavia** أو **Balkans** على الخرائط الحديثة لا يعني أن كل واحدة منها دولة مستقلة.

إن الاسم الجغرافي يصف منطقة، أما الدولة فتحتاج إلى سلطة سياسية، وحدود، وإدارة، وحكام، ووثائق رسمية.

ولهذا لا يجوز الانتقال من الاسم إلى الدولة دون المرور بالأدلة التاريخية.

ثانيًا: الاعتماد على الصورة بمعزل عن سياقها

من وجهة نظري، فإن الصورة التاريخية لا قيمة لها إذا جُردت من معلوماتها الأساسية.

فكل صورة ينبغي أن يرافقها:

- تاريخ التقاطها.
- اسم المصور إن عُرف.
- مكانها.
- المناسبة التي التُقطت فيها.
- مصدرها الأصلي.

أما تداول صورة مجهولة المصدر ثم بناء نظرية كاملة عليها، فلا يتفق مع قواعد البحث العلمي.

ثالثًا: تعميم حالة واحدة على العالم كله

لقد رأيت كثيرًا من المقاطع تعرض مبنى في روسيا، ثم مبنى في فرنسا، ثم مبنى في الولايات المتحدة، ثم مدينة

في أستراليا، ثم تُقدِّمها جميعًا بوصفها دليلًا على حضارة واحدة.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الأسلوب يفتقر إلى الدقة.

فكل مبنى له تاريخه، وكل مدينة لها ظروفها العمرانية، ولا يجوز جمع حالات مختلفة زمانًا ومكانًا تحت تفسير واحد دون دراسة مستقلة لكل حالة.

رابعًا: الانتقال من السؤال إلى النتيجة مباشرة

من الطبيعي أن يسأل الإنسان:

كيف بُني هذا المبنى؟

أو:

لماذا أصبح هذا الباب تحت مستوى الشارع؟

لكن من وجهة نظري، فإن السؤال لا يمثل دليلًا.

فالفرق كبير بين:

لا أعرف السبب.

وبين:

إذن السبب هو حضارة تارتاريا.

إن وجود سؤال لا يعني أن أول تفسير يخطر في الذهن هو التفسير الصحيح.

خامسًا: إهمال الأدلة المخالفة

من المبادئ الأساسية في البحث التاريخي أن الباحث لا يجمع الأدلة التي تؤيد فكرته فقط، بل يبحث أيضًا عن الأدلة التي قد تنقضها.

أما إذا اكتفى بجمع ما يؤيد رأيه، وتجاهل كل ما يخالفه، فإنه يتحول من باحث إلى مدافع عن فرضية مسبقة.

ومن وجهة نظري، فإن قوة أي دراسة لا تظهر عندما تعرض الأدلة المؤيدة، بل عندما تناقش الأدلة المعارضة بإنصاف.

سادسًا: تفسير كل غموض بأنه مؤامرة

لاحظت أن كثيرًا من الفجوات التاريخية تُفسر مباشرة بأنها دليل على وجود عملية إخفاء متعمدة.

لكن من وجهة نظري، فإن التاريخ مليء بالثغرات الطبيعية.

فقد تضيع الوثائق بسبب الحرائق.

وقد تتلف بسبب الرطوبة.

وقد تُفقد أثناء الحروب.

وقد لا تكون قد كُتبت أصلًا.

ولذلك فإن غياب الوثيقة لا يكفي وحده لإثبات وجود مؤامرة.

سابعًا: الخلط بين الاحتمال والحقيقة

كثيرًا ما أقرأ عبارات مثل:

ربما كانت هذه المدينة من تارتاريا.

ثم بعد عدة صفحات تتحول العبارة إلى:

هذه المدينة كانت من تارتاريا.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الانتقال من الاحتمال إلى اليقين دون دليل جديد يمثل خطأً منهجيًا كبيرًا.

فالاحتمال يبقى احتمالًا حتى تؤيده الأدلة.

ومن وجهة نظري، فإن المؤرخ لا يقيس قوة النظرية بعدد المشاهدات على وسائل التواصل الاجتماعي، ولا

بعدد الصور المتداولة، وإنما بقدرتها على الصمود أمام النقد العلمي.

ولهذا فإنني أرى أن أي فرضية تاريخية يجب أن تجيب عن جميع الأسئلة الأساسية، لا عن بعضها فقط. فإذا كانت الأدلة تؤيدها قبلتها، وإذا كانت الأدلة تعارضها أو كانت غير كافية، بقيت فرضية تحتاج إلى مزيد من البرهان.

الفصل الرابع عشر

أول خريطة تحمل اسم تارتاريا... ماذا كانت تقصد؟

من وجهة نظري، فإن الباحث لا يجوز له أن يقول إن الخرائط تثبت أو تنفي شيئًا قبل أن يقرأها قراءة علمية دقيقة. فالخريطة ليست مجرد صورة، بل وثيقة تاريخية يجب أن تُعامل كما يُعامل أي نص قديم.

ولهذا السبب، سأخصص في هذا الكتاب فصلًا مستقلًا لكل خريطة مهمة يظهر عليها اسم **Tartaria**، وسأحللها وفق منهج ثابت لا يتغير، حتى لا أخضع لأي انتقائية في عرض الأدلة.

وسيكون ترتيب دراسة كل خريطة كما يأتي:

1. اسم رسام الخريطة.
2. سنة رسمها أو نشرها.

3. الدولة التي أُنتجت فيها.
4. المكتبة أو الأرشيف الذي يحتفظ بها.
5. صورة الخريطة الأصلية.
6. صورة مكبرة لكلمة **Tartaria**.
7. جميع الأسماء المكتوبة حولها.
8. مقارنة مع خرائط الفترة نفسها.
9. النتيجة التاريخية.

ومن وجهة نظري، فإن هذا المنهج يمنع الباحث من اقتطاع جزء من الخريطة وإهمال بقية المعلومات التي قد تغير معناها بالكامل.

لنفترض أن أول خريطة أمامي كتب عليها:

Great Tartary

فإن أول سؤال أطرحه ليس:

هل هذه إمبراطورية؟

بل أسأل:

ماذا رسم صاحب الخريطة حولها؟

هل رسم حدودًا سياسية واضحة؟

هل كتب اسم ملك؟

هل وضع عاصمة؟

هل ميزها عن الدول المجاورة بالطريقة نفسها التي ميز بها الدولة العثمانية أو روسيا أو الصين؟

إن هذه الأسئلة هي التي تحدد طبيعة الاسم.

ومن وجهة نظري، فإن كثيرًا من المقاطع المنتشرة على الإنترنت تقوم بقص الجزء الذي يحمل كلمة **Tartaria** فقط، ثم تعرضه للمشاهد، بينما تحذف بقية الخريطة.

وهذا خطأ منهجي كبير.

فقد تكون الخريطة نفسها تضع أسماء أخرى مثل:

- Great Tartary
- Chinese Tartary
- Independent Tartary

وفي الوقت نفسه تميز روسيا، والصين، والدولة العثمانية، والهند بطريقة مختلفة تمامًا.

ولو اقتُطع الاسم وحده، فسيفقد القارئ السياق الكامل.

ولهذا السبب، سأعرض كل خريطة كاملة، ثم أبدأ بتحليلها جزءًا جزءًا.

وسأقارنها أيضًا بخرائط رسمها جغرافيون آخرون في الفترة نفسها.

فإذا كان عشرة رسامي خرائط يستخدمون الاسم بطريقة مختلفة، فإن هذا الاختلاف يصبح جزءًا من الدليل التاريخي.

أما إذا اتفقوا جميعًا على وصف سياسي واحد، فإن ذلك سيكون له دلالة مختلفة.

ومن وجهة نظري، فإن الخريطة لا تتحدث وحدها.

إنها تحتاج إلى تفسير يعتمد على لغة عصرها، وعلى معرفة الجغرافي الذي رسمها، وعلى المصادر التي اعتمد عليها.

ولهذا فإنني لن أقرأ أي خريطة بعين إنسان يعيش في القرن الحادي والعشرين، وإنما سأحاول أن أقرأها كما كان يفهمها قارئ عاش في القرن السابع عشر أو الثامن عشر.

وأرى أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تحمي الباحث من إسقاط مفاهيم معاصرة على وثائق تاريخية قديمة.

تمهيد للفصل الخامس عشر

من وجهة نظري، يبدأ الآن القسم الأهم في الكتاب.

لن أكتفي بالحديث عن الخرائط بصورة عامة، بل سأخصص لكل خريطة دراسة مستقلة تمتد من خمس إلى عشر صفحات، تتضمن:

. صورة الخريطة بدقة عالية.
. السيرة العلمية لرسامها.
. الظروف السياسية التي رُسمت فيها.
. ترجمة جميع الكلمات المهمة المكتوبة عليها.
. تحليل أكاديمي لكل جزء منها.
. ثم خلاصة توضح: **هل تدعم هذه الخريطة فعلًا فكرة وجود حضارة تارتاريا، أم أنها لا تتجاوز كونها تسمية جغرافية؟**

الفصل الخامس عشر

الخريطة الأولى: هل كانت تارتاريا دولة أم اسمًا جغرافيًا؟

EVROPAE PARS.
SEPTENTRIO.
TARTARIAE SIVE MAGNI CHAMI REGNI
TARTARIA.
OCEANVS SCYTHICVS
AMERICAE VEL NOVI ORBIS PARS
ORIENS
OCCIDENS
MARE CIN.
CATAIO
INDIA
MOIN.
CHINA
TIPPERA
CONDORA
ZVIRIA
GEORGIANI
ASTRACAN
TVRCHESTAN
BELGIAN
TANGVT
CAMVL
TAIN
HANGI
XANTON
NANQUI
MYL
CARAZAN
THIBET
BARGV
TANGVT REG.
Mar de Barche dan Mare Caspium et Hyrcanum
Tartaria Deserta
Deserta Gobi
Deserta Lop
Tartaria Deserta
Regnum Persiae
Con Tradigo
S Bartholomeo

EVROPAE PARS.
SEPTEN
Solofki monaſterium
Pinego
CONDORA
Colgoÿeue
Schyticum prom.
Danorum ſiue Danitarum horda, i. deiectio ſiue deſcenſio aut expulſio.
OBDORA.
Pechora
Pechora fl.
Puſe zora.
Vaigatz
Ciremiſſorum horda.
Nepthalitarum horda, Nepthalitæ a Buna 10. Tri
Nepthali dict
tas qui in c
ri Danmarc
lis Balhah i
dorū ſiue I
et 476. ſal
victores fuer
ducant ce
DVCIS MOSCOVIAE CONFINIA.
Bulgar
Cham
Caſan
Slouoda
Calino
Beßima
Orlau
Colteuiz
Corelnitz
Kondori
Sibir
Obyfl.
Cingoli
Teron
Themisbi
Chirai
Cruſtima
Kytaia lacus.
CASAN.
Turb lacus.
Turborū horda
Vſezucanorum horda.
Hic magnus prouentus calami aromatici.
ZVIRIA
ASTRACAN
Mechet
Chieſanorum horda.
Mecritorum horda.
Inſula falconum, M. Paul: Veneti.
Baſchirdorum horda.
GEOR: GIANI.
Abuas medris
Bachichih
S. Maria
Strum
Sabra
Astracan
Sora zich
Saracanum
Yaick fl.
Rauor
Mara huis.
Iaicubi fl.
TARTARIA, Que Sarmatiam Aſiaticam, & vtramque Scythiam veterum comprehendit.
BARGV regio paluſtris
OCE
Cori
Derbent
Girm
Sabran
Scamakh
Coſmay
R. ſan
Zibi erairorum horda
Taigin
Mar de Bachu, olim Mare Caſpium, et Hyrcanum.
Bachu
Erutach
Canabu
TVRCHESTAN Regio vnde ciſrontani 10. Tribuum ſocij ante 900. annos ſunt aſcerſiti à Perſis contra Ismahelitæ Mahumedis arma.
Deſertum Apaſtachit.
TABOR REG:
Tabor ſeu Tebur, vmbilicaria ſeu Totarorum regio, vbi licet olim libros ſacros perūdiſſent, ſunt tamen vnius ſub vno rege, qui 1530. in Galliam vſq; ad regem Franciſcum ſui nominis primum venit, et poſtea a Carolo V. Mantuę igne ſue infidelitatis poenas luit: quia ſecrete ſolicitabat Chriſtianos principes ad Iudaiſmum, de qua re Carolum V. alloquutus erat.
Caracus
Chaſel fl.
Chaſolites
Sochori fl.
SIRVSION.
TARSE.
Tauris olim Echatana
Moria
Madranda
Vere
Cant.
MAVRENAHER.
Eilach
Selg
Tanchit
Tersis
GATAI.
Simiam
Sacha ma.
CHIORSA.
Hic Rubini gemmę reperiuntur
Lacho
Sibet
Teras
Samat
Sosechi
Satin
Deſertum Caracoranum
Derista
SAMARC.
Corus
Chiarge
Samarchand magni Tamberlani quondā ſedes.
Xibuar
Cotan
Magnus Cham (quod lingua Tartarorum Imperatorem ſonat) maximus Aſiæ princeps.
Mons Althaÿ, vbi oēs Tartariæ imperatores ſepeliuntur, abAltay tone Armeno ſub noīe Belgian deſcribi videtur.
Maiuru
IESEL.
Bichend
HAND.
Caſcar.
Ciarcian
Lop.
Caracorum
Taingin
BELGIAN
BAS.
Chiarachar
Iſtigias
ISTIGIAS.
Terment
Chere gan.
Vezgirt
Achſiges
Acſu
CIAR: CIAN.
SIM.
Deſertum Lop.
Paliganzu
Imaus mons qui
Monte Dalanguer.
Etaicam
Samach
Cax.
Chuche.
Cata cora
Caracoran
TANGVT. Hic artē imprimendi ante mille, vt ferunt, annos habuerunt
Iaurin.
Paida
Pala zola.
Xandu
Tainfu
REGNI PERSIAE
Tagarnistan
Velualm
Aſareſt
Sermegan.
Daran.
TA CALIS: TAN.
Gauta
Campion
Chinchitalas
Succuir
Cambalu Catai metropolis, habet
SOLSTITIALIS OCCIDENS.

اسم الخريطة *Asiae Nova Descriptio*

رسام الخريطة: أبراهام أورتيليوس (Abraham Ortelius)

سنة النشر: 1570م.

الدولة: الأراضي المنخفضة (هولندا الحالية).

المصدر: محفوظة في عدد من المكتبات العالمية، وتعد من أشهر خرائط القرن السادس عشر.

قراءة الخريطة

من وجهة نظري، فإن هذه الخريطة من أهم الخرائط التي استند إليها مؤيدو نظرية تارتاريا، لأنها من أوائل

Tartaria الخرائط الأوروبية التي يظهر فيها اسم بصورة واضحة.

لكن قبل أن أقبل أي استنتاج، أطرح السؤال الآتي:

هل كتب أورتيليوس أن تارتاريا دولة؟

بعد دراسة الخريطة، ألاحظ أن الرسام لم يكتب عبارة مثل:

Kingdom of Tartaria

أو

Empire of Tartaria

أو

The Great Empire of Tartaria.

بل وضع الاسم فوق مساحة جغرافية واسعة، بالطريقة نفسها التي وضع بها أسماء أقاليم أخرى في آسيا.

ومن وجهة نظري، فإن هذه الملاحظة هي أول نقطة يجب أن يتوقف عندها الباحث.

هل رسم حدودًا سياسية؟

لو كانت تارتاريا دولة، فمن الطبيعي أن يرسم لها حدودًا واضحة كما فعل مع دول أخرى.

لكن عند النظر إلى الخريطة، لا أجد حدودًا سياسية دقيقة تفصل تارتاريا عن جميع المناطق المجاورة كما هو الحال مع الكيانات السياسية المعروفة في ذلك العصر.

ومن وجهة نظري، فإن هذا يوحي بأن الرسام كان يتعامل معها بوصفها إقليمًا جغرافيًا واسعًا أكثر من كونها دولة ذات سيادة.

هل ذكر اسم العاصمة؟

بحثت في الخريطة عن مدينة كبرى تحمل صفة العاصمة.

فلم أجد مدينة كتب فوقها:

Capital of Tartaria

أو

Royal City.

كما لم أجد قصرًا ملكيًا أو رمزًا يدل على وجود حكومة مركزية

ومن وجهة نظري، فإن غياب العاصمة في خريطة يُقال إنها تمثل أكبر إمبراطورية في العالم يطرح سؤالًا مشروعًا

هل ذكر اسم ملك؟

من أهم ما يميز الخرائط السياسية في القرنين السادس عشر والسابع عشر أنها كانت كثيرًا ما تشير إلى الممالك والحكام أو تضع أسماء الدول بصورة تعكس الكيان السياس

لكن هذه الخريطة لا تقدم اسمًا لملك تارتاريا، ولا لسلالة حاكمة، ولا لأي مؤسسة سياسية يمكن ربطها بدولة موحدة

ومن وجهة نظري، فإن هذا الصمت لا يمكن تجاهله

مقارنة مع الدولة العثمانية

عندما أنظر إلى الخريطة نفسها، أجد أن الدولة العثمانية، والدولة الصفوية، والصين، وغيرها من الكيانات السياسية تظهر بوصفها دولًا معروفة في زمن الرسام.

أما **Tartaria** فتبدو وصفًا لمساحة شاسعة أكثر من كونها دولة مركزية

ومن وجهة نظري، فإن هذه المقارنة ضرورية، لأن الباحث لا يقرأ الاسم منفصلًا عن بقية الخريطة

النتيجة

بعد دراسة هذه الخريطة، لا أستطيع أن أعتبرها دليلًا قاطعًا على وجود حضارة أو إمبراطورية عالمية اسمها **تارتاريا**

كل ما تثبته الخريطة هو أن الجغرافي الهولندي أبراهام أورتيليوس استخدم اسم **Tartaria** للإشارة إلى منطقة واسعة في آسيا

أما إثبات أن هذه المنطقة كانت دولة موحدة أو حضارة مستقلة، فإنه يحتاج إلى أدلة أخرى، مثل النقوش، والوثائق الرسمية، والعملات، وأسماء الحكام، والسجلات الإدارية، وهي أمور لا تقدمها هذه الخريطة وحدها

ومن وجهة نظري، فإن الخطأ الذي وقع فيه كثير من الباحثين هو أنهم حملوا الخريطة أكثر مما تحتمل، فانتقلوا من وجود اسم جغرافي إلى إثبات حضارة كاملة، دون المرور بالمراحل العلمية اللازمة لإثبات هذا الانتقال

الفصل السادس عشر

هل تثبت كثرة الخرائط وجود حضارة؟

من وجهة نظري، فإن من أكثر الحجج التي يكررها مؤيدو نظرية تارتاريا قولهم:

وهذا Tart هناك مئات الخرائط التي كتب عليها اسم وحده دليل على أنها كانت حضارة عظيمة

وعندما أقرأ هذا الاستدلال، فإن أول سؤال يتبادر إلى ذهني هو:

هل كثرة الخرائط تعني بالضرورة صحة المعلومة التي تتضمنها؟

إن الإجابة، من وجهة نظري، هي: **لا**

فالخرائط ليست كتبًا مستقلة عن بعضها، بل إن كثيرًا من رسامي الخرائط في القرنين السادس عشر والسابع عشر كانوا ينقلون المعلومات من خرائط أقدم، أو يعتمدون على المصادر الجغرافية نفسها، أو ينسخون أجزاءً من أعمال من سبقهم

ولهذا السبب، فإن تكرار اسم معين في عشرات الخرائط لا يعني أن عشرات الجغرافيين ذهبوا بأنفسهم إلى تلك البلاد وشاهدوها، وإنما قد يعني ببساطة أن معلومة واحدة انتقلت من خريطة إلى أخرى

وهذه ظاهرة معروفة في تاريخ رسم الخرائط

فقد نجد خطأً جغرافيًا واحدًا يتكرر في عشرات الخرائط عبر قرنين كاملين، لأن الرسامين اعتمدوا على مصدر سابق دون أن يتمكنوا من التحقق منه ميدانيًا

ومن وجهة نظري، فإن المؤرخ لا يحصي عدد الخرائط، بل يبحث عن أصل المعلومة

فإذا وجدت خمسين خريطة تحمل الاسم نفسه، فإن السؤال الذي أطرحه هو

من أين جاءت هذه التسمية أول مرة؟

وهل كانت مبنية على مشاهدة مباشرة؟

أم على كتاب جغرافي قديم؟

أم على روايات الرحالة؟

أم على خرائط أقدم؟

إن الإجابة عن هذا السؤال أهم بكثير من مجرد عدّ الخرائط

ولو افترضنا أن خمسين خريطة أوروبية كتبت اسم **Tartaria** فهذا لا يعني أن خمسين دليلًا مستقلاً قد أثبتت وجود دولة واحدة، بل قد تكون هذه الخرائط جميعها اعتمدت على تقليد جغرافي واحد

ومن وجهة نظري، فإن استقلالية المصدر أهم من عدد المصادر

ولهذا السبب، سأحرص في هذا الكتاب على تتبع العلاقة بين الخرائط

وسأبين للقارئ

أي الخرائط كانت أصلًا لغيرها .

وأيها كان مجرد إعادة رسم .
وأيها أضاف معلومات جديدة .
وأيها كرر ما سبقه دون تعديل .
وهذه نقطة يغفل عنها كثير من الباحثين

هل كان رسامو الخرائط مؤرخين؟

من وجهة نظري، لا بد من التمييز بين وظيفة الجغرافي ووظيفة المؤرخ

فرسام الخريطة كان يحاول أن يرسم صورة للعالم وفق المعلومات المتوافرة لديه، ولم يكن دائمًا يحقق في صحة كل اسم يكتبه

بل إن بعض الخرائط كانت تحتوي على مناطق لم يزرها الرسام مطلقًا

وكان يعتمد على

كتب الرحالة

تقارير التجار

روايات البحارة

خرائط أقدم

رسائل المبشرين

تقارير السفراء

ولذلك فإن الخريطة تعكس مستوى المعرفة في زمنها، لكنها لا تمثل وحدها دليلًا قاطعًا على الواقع السياسي

مثال تاريخي

من وجهة نظري، هناك أمثلة كثيرة تثبت أن الخرائط قد تتضمن معلومات أصبحت اليوم معروفة بأنها غير دقيقة

فقد رسم بعض الجغرافيين الأوروبيين أنهارًا لم تكن موجودة

ورسم آخرون بحيرات في أماكن تبين لاحقًا أنها غير صحيحة

ووضع بعضهم سلاسل جبلية في مواقع خاطئة

ولم يكن ذلك تزويرًا، بل نتيجة نقص المعلومات المتوافرة لديهم

ولهذا لا يجوز التعامل مع كل ما في الخريطة على أنه حقيقة نهائية

ما الذي تثبته الخرائط؟

بعد دراسة عشرات الخرائط، أرى أنها تثبت أمرًا واحدًا بصورة لا خلاف عليها

Tartaria أن الجغرافيين الأوروبيين استخدموا اسم لعدة قرون

لكن هذا لا يجيب عن السؤال الأهم

هل كان هذا الاسم يعني دولة؟

أم

كان مجرد مصطلح جغرافي واسع؟

ومن وجهة نظري، فإن الإجابة عن هذا السؤال لا توجد داخل الخريطة وحدها، وإنما في الوثائق السياسية، والنقوش، والمراسلات، والعملات، والسجلات الإدارية، وهي الأدلة التي تمنح الاسم معناه الحقيقي

خلاصة الفصل

أخلص إلى أن كثرة الخرائط لا تعني تلقائيًا كثرة الأدلة المستقلة

فالخرائط يجب أن تُدرس بوصفها سلسلة معرفية، ينتقل فيها كثير من المعلومات من جيل إلى آخر

ولهذا فإنني لن أكتفي في الفصول القادمة بعرض الخرائط، بل سأبحث عن **المصدر الأول** الذي استقى منه كل رسام معلوماته، لأن الوصول إلى أصل المعلومة أهم بكثير من تكرارها

الفصل السابع عشر

مشتقة من Tartaria من هم التتار؟ وهل كلمة اسمهم؟

من وجهة نظري، فإن أي باحث يريد فهم معنى كلمة **Tartaria** لا بد أن يبدأ بدراسة الكلمة نفسها، لأن الاسم هو مفتاح فهم القضية كلها

لقد لاحظت أن كثيرًا من مؤيدي نظرية تارتاريا يتعاملون مع كلمة **Tartaria** كما لو كانت اسم حضارة قديمة مستقلة، دون أن يسألوا السؤال الأول الذي يطرحه أي مؤرخ

من أين جاءت هذه الكلمة أصلًا؟

إن دراسة أصل المصطلحات ليست أمرًا ثانويًا في البحث التاريخي، بل هي جزء أساسي من المنهج العلمي، لأن الأسماء تتغير عبر الزمن، وقد يختلف معناها من عصر إلى آخر

ومن خلال مراجعة المصادر الأوروبية القديمة، يتبين أن **Tartarus** أو **Tartar** الأوروبيين استخدموا لفظ للإشارة إلى جماعات مختلفة من سكان آسيا الداخلية، ولا سيما بعد توسعات المغول في القرن الثالث عشر

ومن وجهة نظري، فإن هذه النقطة تفسر كثيرًا من الغموض الذي أحاط باسم **Tartaria**

فالرحالة والتجار والمبشرون الأوروبيون لم يكونوا يملكون معرفة دقيقة بالتركيب العرقي والسياسي لآسيا الداخلية، ولذلك استخدموا اسمًا عامًا يشمل شعوبًا وقبائل متعددة، تختلف في لغاتها وأصولها وأنظمتها السياسية

وبمرور الزمن، تحول هذا الاسم في الخرائط الأوروبية إلى مصطلح جغرافي يدل على منطقة واسعة يسكنها أولئك الذين كان الأوروبيون يطلقون عليهم اسم **التتار**

ومن وجهة نظري، فإن هذا الاستخدام لا يختلف كثيرًا عن استخدام أسماء عامة أخرى في الخرائط القديمة، حيث كانت مناطق شاسعة تُعرف باسم واحد، رغم أنها لم تكن دولة واحدة ولا شعبًا واحدًا

وهنا أطرح سؤالًا أراه جوهريًا

هل كان التتار أنفسهم يسمون بلادهم تارتاريا؟

بعد مراجعة ما توفر من المصادر، لا أجد دليلًا واضحًا على أن الشعوب التي أُطلق عليها في أوروبا اسم التتار كانت تستخدم هذا الاسم بوصفه اسمًا رسميًا لدولة أو حضارة واحدة

بل يبدو أن التسمية انتشرت أساسًا في الأدبيات والخرائط الأوروبية، بينما كانت تلك الشعوب تعرف نفسها بأسماء قبلية أو قومية أو سياسية مختلفة

ومن وجهة نظري، فإن هذه الملاحظة شديدة الأهمية

فلو كانت تارتاريا اسم دولة عظمى، لكان المتوقع أن يظهر في وثائقها الرسمية، وعلى عملاتها، وفي مراسلات حكامها، وفي ألقاب ملوكها

لكن إذا كان الاسم في الأساس اصطلاحًا استخدمه الآخرون، فإن دلالته التاريخية تصبح مختلفة

وهنا ينبغي التمييز بين أمرين

الأول، أن الأوروبيين استخدموا اسم **Tartaria** في خرائطهم وكتبهم، وهذا أمر تؤيده الوثائق

والثاني، أن هذا الاسم كان يدل على دولة مركزية أو حضارة موحدة، وهذا أمر يحتاج إلى أدلة إضافية تتجاوز مجرد استعمال الاسم

ومن وجهة نظري، فإن الخلط بين هذين الأمرين هو الذي أدى إلى نشوء كثير من التصورات الحديثة حول تارتاريا

إن التاريخ يعلمنا أن أسماء كثيرة ظهرت في المصادر الأجنبية، لكنها لم تكن أسماء دول بالمعنى السياسي، بل كانت أوصافًا جغرافية أو إثنية أو قبلية

ولهذا فإن وجود اسم في وثيقة لا يكفي وحده لتحديد طبيعة الكيان الذي يشير إليه

وأخلص من هذا الفصل إلى أن دراسة أصل كلمة **Tartaria** تساعد على فهم سبب انتشارها في الخرائط الأوروبية، لكنها لا تكفي بمفردها لإثبات وجود حضارة عالمية أو إمبراطورية موحدة تحمل هذا الاسم

تمهيد للفصل الثامن عشر

من وجهة نظري، بدأنا الآن نقترب من جوهر القضية. ففي الفصل القادم سأناقش سؤالًا بالغ الأهمية

هل يوجد أثر واحد يحمل نقشًا يقول: أنا من تارتاريا؟

وسنبحث في النقوش، والعملات، والأختام، والوثائق الأصلية، لأن هذه الأدلة هي التي تُميز بين الاسم الجغرافي وبين الدولة التاريخية

الفصل الثامن عشر

هل يوجد نقش واحد يحمل اسم تارتاريا؟

من وجهة نظري، إذا أراد الباحث أن يثبت وجود حضارة، فإن أول ما يبحث عنه هو **النقوش الأصلية** التي تركها أهل تلك الحضارة

فالخرائط يرسمها الآخرون

أما النقوش فيكتبها أصحاب الحضارة أنفسهم

وهنا يكمن الفرق الكبير بين الدليلين

فعندما أدرس الحضارة المصرية، أجد آلاف النقوش التي تبدأ بعبارات مثل

أنا الفرعون

وعندما أدرس الإمبراطورية البارثية، أجد نقش بيستون، الذي يذكر أسماء الملوك والأقاليم والشعوب

وعندما أدرس بلاد الرافدين، أجد آلاف الألواح المسمارية التي تتحدث عن الضرائب، والزراعة، والحروب، والمعابد، والملوك

بل حتى الحضارات الصغيرة تركت وراءها أختامًا، وعقودًا، ورسائل، ونقوشًا حجرية

ومن وجهة نظري، فإن أول سؤال يجب أن يُطرح بشأن تارتاريا هو

هل تركت لنا تارتاريا نقشًا واحدًا يقول

أنا ملك

تارتاريا

بُني هذا المعبد في عهد ملك تارتاريا

أو

هذه أرض تارتاريا

لقد بحثت في ما يُستشهد به من أدلة، فوجدت أن معظمها يعتمد على الخرائط الأوروبية، وبعض الكتب الجغرافية، وصور المباني

لكنني لم أجد نقشًا أثريًا معاصرًا يحمل هذا الاسم بوصفه اسم دولة أو حضارة

ومن وجهة نظري، فإن هذه الملاحظة ليست تفصيلًا صغيرًا، بل تمثل جوهر القضية

لأن النقوش هي الوثائق الرسمية للعالم القديم

إنها بمنزلة السجلات الحكومية في عصرنا
ولو كانت هناك إمبراطورية امتدت من أوروبا الشرقية إلى المحيط الهادئ، فمن الطبيعي أن تترك آلاف النقوش في قصورها، ومعابدها، ومدنها، وحدودها، وطرقها
لكن أين هي؟

أين الأختام الرسمية؟

كل دولة منظمة تحتاج إلى إدارة
وكل إدارة تحتاج إلى أختام
وقد عثر علماء الآثار على عشرات آلاف الأختام من الحضارات القديمة
ففي بلاد الرافدين وحدها اكتُشف عدد هائل من الأختام الأسطوانية، تحمل أسماء الحكام، والموظفين، والتجار
وفي مصر، عُثر على أختام ملكية وإدارية
وفي بارث، وُجدت أختام الدواوين
أما في حالة تارتاريا، فأين الأختام التي تحمل اسمها؟
من وجهة نظري، فإن غيابها يثير تساؤلًا مشروعًا

أين العملات؟

إن العملة ليست وسيلة للتبادل التجاري فحسب، بل هي إعلان سياسي
فهي تحمل عادة اسم الدولة، أو صورة الحاكم، أو شعاره
ولذلك يعتمد علماء التاريخ اعتمادًا كبيرًا على علم المسكوكات لإعادة بناء تاريخ الدول
ولو كانت تارتاريا إمبراطورية عالمية، فمن الطبيعي أن يكون لها نظام نقدي
لكن أين العملات التي تحمل اسمها؟
وأين دور السك؟
وأين الأوزان الرسمية؟

أين الوثائق القانونية؟

من وجهة نظري، لا توجد حضارة دون قانون
ولا توجد دولة دون مراسيم
ولا توجد إمبراطورية دون سجلات إدارية
فكل الإمبراطوريات الكبرى تركت قوانينها
فحمورابي ترك شريعته
والرومان تركوا قوانينهم
والبيزنطيون تركوا مراسيمهم
والصينيون تركوا سجلاتهم

لكن أين قوانين تارتاريا؟
وأين المحاكم؟
وأين سجلات الضرائب؟
وأين أوامر التعيين؟
وأين أسماء الولايات التابعة لها؟

هل يمكن أن تضيع كل هذه الأدلة؟

قد يقول قائل إن الزمن أتلف هذه الوثائق
ومن وجهة نظري، فإن ضياع جزء من التراث أمر طبيعي
لكن ضياع **كل شيء** أمر مختلف تمامًا
فلو ضاعت النقوش، لبقيت العملات
ولو ضاعت العملات، لبقيت الأختام
ولو ضاعت الأختام، لبقيت المراسلات
ولو ضاعت المراسلات، لبقيت الإشارات إليها في حضارات أخرى
أما أن تختفي جميع الأدلة المادية والإدارية واللغوية والسياسية معًا، فهذا افتراض يحتاج هو نفسه إلى دليل

النتيجة

ومن وجهة نظري، فإن غياب النقوش والأختام والعملات والوثائق الرسمية لا يسمح لي - وفق المنهج التاريخي - بأن أتعامل مع تارتاريا باعتبارها حضارة مثبتة

كان مستخدمًا **Tartaria** فالخرائط تخبرني أن اسم

أما النقوش، وهي صوت أصحاب الحضارة أنفسهم، فلا تقدم حتى الآن ما يؤكد وجود دولة أو حضارة تحمل هذا الاسم

ولهذا فإنني أرى أن الباحث المنصف يجب أن يفرق دائمًا بين **وجود اسم في المصادر الأوروبية**، وبين **وجود أدلة مادية صادرة عن أصحاب ذلك الاسم**

وهذا التفريق، في رأيي، هو أحد أهم المفاتيح لفهم حقيقة تارتاريا

الفصل التاسع عشر

أين هي عاصمة تارتاريا؟

من وجهة نظري، فإن أي دولة في التاريخ، صغيرة كانت أم كبيرة، لا بد أن يكون لها مركز سياسي وإداري. فالعاصمة ليست مجرد مدينة كبيرة، بل هي المكان الذي تصدر منه القرارات، وتُحفظ فيه السجلات، ويقيم فيه الحاكم أو الحكومة

ولهذا السبب، عندما أدرس أي حضارة، فإن أول ما أبحث عنه بعد اسمها هو

ما هي عاصمتها؟
من الذي حكم منها؟
وأين توجد آثار مؤسساتها الرسمية؟
فإذا كان الحديث يدور عن إمبراطورية يُقال إنها امتدت عبر معظم آسيا، فإن السؤال يصبح أكثر إلحاحًا
أين كانت عاصمة هذه الإمبراطورية؟

اختلاف الآراء

من وجهة نظري، فإن أول ما يلفت الانتباه هو أن مؤيدي نظرية تارتاريا لا يقدمون إجابة واحدة
.فقد قرأت من يقول إن العاصمة كانت في **توبولسك**
وآخر يذكر **طومسك**
وثالث يشير إلى **قازان**
ورابع يتحدث عن مدن في منغوليا
وبعضهم يذهب إلى مدن في سيبيريا
وهناك من لا يحدد أي مدينة أصلًا
ومن وجهة نظري، فإن هذا الاختلاف ليس مسألة بسيطة، لأن الإمبراطوريات الكبرى تُعرف بعواصمها
فعندما أقول
روما، يتبادر إلى الذهن الإمبراطورية الرومانية .

القسطنطينية، نتذكر الإمبراطورية البيزنطية .
بكين، نتذكر السلالات الصينية .
إسطنبول، نتذكر الدولة العثمانية .
أما إذا اختلف الباحثون حول العاصمة نفسها، فإن ذلك يستدعي مزيدًا من التحقق

ماذا تقول الخرائط؟

عندما أنظر إلى الخرائط القديمة التي تحمل اسم **Tartari** ، ألاحظ أنها تكتب الاسم فوق مساحة جغرافية واسعة، لكنها في الغالب لا تميز مدينة معينة باعتبارها عاصمة للإقليم كله

بل إن المدن الظاهرة داخل تلك المساحة تبدو مدنًا متفرقة، دون إشارة واضحة إلى مركز سياسي واحد يحكم جميع الأراضي

ومن وجهة نظري، فإن هذه الملاحظة مهمة؛ لأن رسامي الخرائط كانوا غالبًا يميزون العواصم والمدن الرئيسة للكيانات السياسية المعروفة

ماذا تقول الوثائق؟

إذا كانت لتارتاريا حكومة مركزية، فمن الطبيعي أن أجد وثائق تبدأ بعبارات مثل

...صدر في العاصمة

أو

...بأمر الإمبراطور من

أو

...في السنة الخامسة من حكم

لكن حتى الآن، لا أجد مثل هذه الصيغة في وثائق تُنسب إلى دولة اسمها تارتاريا

ومن وجهة نظري، فإن غياب هذا النوع من الوثائق يجعل تحديد عاصمة أمرًا غير ممكن على أساس الأدلة المتاحة

هل يمكن أن توجد إمبراطورية بلا عاصمة؟

من الناحية النظرية، قد تنقل بعض الدول عاصمتها من مدينة إلى أخرى عبر التاريخ

لكنها لا تكون بلا مركز سياسي على الإطلاق

حتى الإمبراطوريات البدوية، مثل الإمبراطورية المغولية، كانت لها مراكز للحكم ومعسكرات إمبراطورية معروفة، واستطاع المؤرخون تتبعها من خلال المصادر المعاصرة

أما إذا قيل إن تارتاريا كانت أكبر إمبراطورية في العالم، ثم لا يمكن تحديد عاصمة لها، ولا قصر ملكي، ولا مقر للإدارة، فإن هذا يطرح إشكالًا تاريخيًا حقيقيًا

مقارنة مع الإمبراطورية المغولية

ومن وجهة نظري، من المفيد إجراء مقارنة

فالإمبراطورية المغولية سيطرت على مساحات هائلة من آسيا وأوروبا

ومع ذلك، نعرف أسماء عدد من حكامها، ونعرف مراكز حكمها في مراحل مختلفة، ولدينا وثائق من الصين، وبلاد بارث، والعالم الإسلامي، وأوروبا تتحدث عنها

أما في حالة تارتاريا، فإن الادعاء يتحدث عن إمبراطورية لا تقل اتساعًا، لكن دون منظومة مماثلة من الأدلة

وهنا أرى أن المقارنة ليست لإثبات شيء أو نفيه، بل لإظهار الفارق في حجم التوثيق

النتيجة

ومن وجهة نظري، فإنني لا أستطيع أن أحدد عاصمة لتارتاريا، لأن الأدلة التي اطلعت عليها لا تقدم مدينة

يمكن إثبات أنها كانت المركز السياسي والإداري لدولة تحمل هذا الاسم

وهذا لا ينفي أن مدنًا مثل **طومسك** أو **توبولسك** أو غيرهما كانت مراكز إقليمية مهمة في فترات مختلفة، لكنه لا يكفي وحده لإثبات أنها كانت عاصمة لإمبراطورية اسمها تارتاريا

ولهذا أرى أن الحديث عن "عاصمة تارتاريا" يحتاج إلى أدلة مباشرة، مثل المراسيم الرسمية، أو النقوش، أو العملات، أو السجلات الإدارية، لا إلى الاستنتاج من الخرائط وحدها

تمهيد للفصل العشرين

هل كانت تارتاريا هي الإمبراطورية المغولية؟ أم أن الأوروبيين استخدموا اسم "تارتاريا" لوصف مناطق خضعت للمغول وشعوب آسيا الداخلية؟

Tartaria وسنقارن مقارنة وثائقية بين **والإمبراطورية المغولية**، بالاعتماد على الخرائط، والرحلات، والمصادر التاريخية، دون الخلط بين المصطلحين

الفصل العشرون

هل كانت تارتاريا هي الإمبراطورية المغولية؟

من وجهة نظري، فإن أحد أكثر أسباب انتشار نظرية تارتاريا هو الخلط بين اسمين مختلفين

كما ظهر في الخرائط الأوروبية، **Tartaria** و**الإمبراطورية المغولية** التي قامت في القرن الثالث عشر الميلادي بقيادة جنكيز خان وخلفائه

ويتعامل بعض الباحثين مع الاسمين وكأنهما مترادفان، بينما يرى آخرون أنهما كيانان مختلفان تمامًا

ولذلك كان لا بد من طرح السؤال التالي

Tartaria هل كان الأوروبيون يقصدون بالمصطلح الإمبراطورية المغولية؟ أم كانوا يستخدمونه بمعنى أوسع؟

أوروبا وآسيا في العصور الوسطى

من وجهة نظري، يجب أن أتذكر دائمًا أن الأوروبيين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر لم تكن لديهم معرفة دقيقة بجغرافية آسيا الداخلية

فالمسافات كانت شاسعة، والرحلات طويلة، والاتصال محدود

وكانت أخبار تلك البلاد تصل عبر التجار، والرحالة، والمبشرين، والسفراء

ولهذا استخدم الأوروبيون في كثير من الأحيان أسماء عامة لوصف مناطق كاملة وشعوب متعددة

وبعد توسعات المغول، أصبح الأوروبيون يطلقون اسم **Tartars** على جماعات كثيرة من سكان آسيا الداخلية، مع أن تلك الجماعات لم تكن كلها مغولًا، ولم تكن جميعها تتحدث اللغة نفسها أو تخضع للسلطة السياسية نفسها

ومن وجهة نظري، فإن هذا التعميم كان جزءًا من لغة الجغرافيا الأوروبية في ذلك العصر

هل كانت كل تارتاريا تحت حكم المغول؟

إذا نظرت إلى الخرائط التي تعود إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر، ألاحظ أن اسم **Tartaria** يظهر حتى في فترات كانت فيها الإمبراطورية المغولية قد تفككت منذ زمن

وهذه ملاحظة مهمة

فلو كان المصطلح يعني الإمبراطورية المغولية وحدها، لكان من المتوقع أن يختفي تدريجيًا مع زوالها

لكن استمرار استخدامه يوحي بأنه أصبح مصطلحًا جغرافيًا أوسع، يستخدمه الأوروبيون للدلالة على مناطق واسعة من آسيا، بغض النظر عن تغير القوى السياسية التي حكمتها

ومن وجهة نظري، فإن هذا يفسر لماذا نجد في بعض الخرائط تقسيمات مثل

. Great Tartary.

. Chinese Tartary.

. Russian Tartary.

. Independent Tartary.

فهذه التقسيمات تعكس اختلاف المناطق التي استخدم لها الاسم، ولا تعني بالضرورة وجود دولة واحدة تحكمها سلطة مركزية

هل ترك المغول اسم تارتاريا في وثائقهم؟

عندما أراجع المصادر المرتبطة بالمغول، أجد أسماء مثل

الإمبراطورية المغولية .

القبيلة الذهبية .

الإيلخانية .

خانية جغتاي .

أسرة يوان في الصين .

فلا يظهر بوصفه الاسم الرسمي **Tartaria** أما اسم الذي أطلقه المغول على دولتهم

ومن وجهة نظري، فإن هذه الملاحظة تدعم فكرة أن المصطلح كان في الأساس استخدامًا أوروبيًا، لا اسمًا سياسيًا اعتمدته السلطة المغولية

لماذا استمر الاسم؟

يرى بعض المؤرخين أن الأسماء الجغرافية قد تستمر في الخرائط حتى بعد تغير الواقع السياسي

ومن وجهة نظري، هذه ظاهرة معروفة في تاريخ الخرائط

فقد يبقى اسم إقليم مستخدمًا لعقود أو حتى قرون، رغم تغير الدول التي تحكمه

في **Tartaria** ولذلك فإن استمرار ظهور كلمة الخرائط لا يعني بالضرورة استمرار وجود كيان سياسي واحد، بل قد يعكس استمرار اصطلاح جغرافي اعتاده رسامو الخرائط الأوروبيون

المقارنة بين المصطلحين

ولكي يكون النقاش واضحًا، أضع أمام القارئ هذه المقارنة

تارتاريا في الخرائط الأوروبية	الإمبراطورية المغولية
لا يوجد مؤسس معروف يحمل لقب مؤسس تارتاريا	لها مؤسس معروف (جنكيز خان)
لا يوجد تاريخ تأسيس متفق علي	لها تسلسل زمني معروف
لا توجد قائمة موثقة لحكام تارتاريا	لها حكام معروفون بالأسماء
يظهر الاسم أساسًا في الأدبيات والخرائط الأوروبية	لها مصادر مغولية وصينية وبارثية وعربية وأوروبية
لا توجد مؤسسات سياسية موثقة باسم تارتاريا	لها نظم إدارية وخانات معروفة

ومن وجهة نظري، فإن هذه المقارنة لا تهدف إلى نفي بل إلى توضيح أن وجود **Tartaria** استخدام اسم الاسم في الخرائط لا يكفي وحده لإثبات وجود دولة مستقلة تحمل هذا الاسم

النتيجة

كما استخدمه **Tartaria** أخلص إلى أن اسم الجغرافيون الأوروبيون، لا يمكن مساواته تلقائيًا بالإمبراطورية المغولية، كما لا يمكن اعتباره في الوقت

نفسه دليلًا كافيًا على وجود حضارة أو إمبراطورية مستقلة تحمل هذا الاسم

بل يبدو أن المصطلح كان أوسع وأقل تحديدًا، واستخدم لوصف مناطق متعددة في آسيا الداخلية، بينما كانت القوى السياسية الفعلية تتغير مع الزمن

ومن وجهة نظري، فإن هذا التمييز ضروري لفهم الخرائط الأوروبية، وعدم تحميلها معنى سياسيًا لم يكن مقصودًا بالضرورة

الفصل الحادي والعشرون

الدليل الأول: لماذا اختفى اسم تارتاريا من الخرائط الحديثة؟

من وجهة نظري، فإن أكثر سؤال يتكرر بين مؤيدي نظرية تارتاريا هو

إذا لم تكن تارتاريا حضارة، فلماذا اختفى اسمها من الخرائط الحديثة؟

ويعتبر كثيرون أن اختفاء الاسم دليل على أن هناك جهة ما قامت بحذف تارتاريا من التاريخ والجغرافيا معًا

وللوهلة الأولى يبدو هذا السؤال منطقيًا، لكن المؤرخ لا يكتفي بالسؤال، بل يسأل سؤالًا آخر

هل اختفت كلمة تارتاريا وحدها، أم أن الخرائط القديمة مليئة بأسماء اختفت مع مرور الزمن؟

ومن وجهة نظري، فإن هذا هو السؤال الصحيح

هل تختفي الأسماء من الخرائط؟

عندما أقارن خرائط القرن السادس عشر بخرائط القرن الحادي والعشرين، أجد أن مئات الأسماء لم تعد مستخدمة

فعلى سبيل المثال، نجد أسماء مثل

. Cathay.

. Scythia.

. Sarmatia.

. Livonia.

. Prussia.

. Muscovy.

. Tartary.

وكانت هذه الأسماء مألوفة لدى الجغرافيين الأوروبيين، لكنها اختفت تدريجيًا أو تغير معناها مع تطور المعرفة الجغرافية والسياسية

ومن وجهة نظري، فإن اختفاء الاسم لا يعني بالضرورة اختفاء حضارة

بل قد يعني ببساطة أن المصطلح الجغرافي لم يعد مستخدمًا

لماذا تتغير أسماء الخرائط؟

التاريخ يعلمنا أن أسماء المناطق تتغير باستمرار

فقد يتغير الاسم بسبب

.تغير الحدود السياسية .

.ظهور دول جديدة .

.تطور علم الجغرافيا .

.تحسن وسائل رسم الخرائط .

.زيادة المعرفة بالشعوب والأقاليم .

فعندما كانت أوروبا لا تعرف تفاصيل آسيا الداخلية، كان من السهل أن تستخدم اسمًا عامًا مثل **Tartaria**.

لكن مع ازدياد الرحلات العلمية والاستكشافات والبعثات الجغرافية، بدأت الخرائط تستبدل الاسم العام بأسماء أكثر دقة، مثل

.سيبيريا .

.منغوليا .

.كازاخستان .

.منشوريا .

.تركستان .

وغيرها من الأقاليم التي أصبحت معروفة بصورة أوضح .

ومن وجهة نظري، فإن هذا التطور طبيعي في تاريخ رسم الخرائط

مثال من التاريخ

لو عدت إلى خرائط أوروبا في القرن السادس عشر، فسأجد اسم **Muscovy**.

أما اليوم، فلا تكاد تجد هذا الاسم في الخرائط الحديثة

فهل يعني ذلك أن دولة موسكو حُذفت من التاريخ؟

بالطبع لا

بل يعني أن الاسم الجغرافي والسياسي تطور مع الزمن، وأصبح الاسم الأكثر شيوعًا هو **روسيا**

وينطبق الأمر نفسه على أسماء أخرى كثيرة

ومن وجهة نظري، فإن تارتاريا قد تكون مثالًا آخر على هذا النوع من التطور في المصطلحات الجغرافية

هل يوجد قرار رسمي بحذف تارتاريا؟

إذا كان هناك من يدعي أن اسم تارتاريا أزيل عمدًا من الخرائط، فمن الطبيعي أن أبحث عن الوثيقة التي تثبت ذلك

أين القرار؟
أين المرسوم؟
أين اجتماع الجغرافيين الذي اتخذ هذا القرار؟
أين المراسلات بين الحكومات؟
أين الوثائق التي تقول
احذفوا اسم تارتاريا من جميع الخرائط
ومن وجهة نظري، فإنني لا أجد حتى الآن مثل هذه الوثائق
ولو كانت عملية حذف عالمية قد وقعت فعلًا، لكان من المتوقع أن تترك أثرًا في الأرشيفات، أو في مراسلات دور النشر، أو في سجلات الجمعيات الجغرافية
لكن غياب هذه الوثائق يجعل فرضية "الحذف المنظم" بحاجة إلى دليل مستقل

تطور علم الخرائط

إن الخرائط التي رُسمت في القرن السادس عشر تختلف جذريًا عن خرائط القرن التاسع عشر، وهذه تختلف بدورها عن خرائط اليوم
فكلما تقدم علم المساحة، وتحسنت أدوات القياس، وازدادت الرحلات العلمية، أصبحت الخرائط أكثر دقة، واستُبدلت الأسماء العامة بأسماء أكثر تحديدًا

ومن وجهة نظري، فإن هذا التطور لا يمثل دليلًا على مؤامرة، بل يمثل تطورًا طبيعيًا في المعرفة الجغرافية

النتيجة

Tartaria أخلص من هذا الفصل إلى أن اختفاء اسم من الخرائط الحديثة، في حد ذاته، لا يكفي لإثبات أن حضارة كاملة قد مُحيت من التاريخ

فالخرائط عبر العصور شهدت اختفاء وتغير مئات الأسماء الجغرافية، نتيجة تطور المعرفة، وإعادة رسم الحدود، وظهور مصطلحات أكثر دقة

ولهذا، فإن اختفاء الاسم يحتاج إلى أن يُدرس في سياق تطور علم الجغرافيا، لا أن يُفسر مباشرة بأنه دليل على إخفاء حضارة

تمهيد للفصل الثاني والعشرين

هل كانت هناك مؤامرة عالمية لإعادة كتابة التاريخ؟

وسنناقش هذا الادعاء من خلال دراسة كيفية حفظ الوثائق في المكتبات، والمتاحف، والأرشيفات الوطنية، ولماذا يرى المؤرخون أن إعادة كتابة تاريخ العالم بأكمله عملية بالغة التعقيد وتحتاج إلى أدلة مباشرة تثبت وقوعها

الفصل الثاني والعشرون

هل كانت هناك مؤامرة عالمية لإعادة كتابة التاريخ؟

من وجهة نظري، فإن معظم نظريات تارتاريا لا تتوقف عند القول بوجود حضارة مفقودة، بل تضيف ادعاءً آخر أكثر اتساعًا، وهو أن تاريخ هذه الحضارة أُزيل عمدًا من جميع الكتب والخرائط والوثائق، وأن العالم شهد عملية منظمة لإعادة كتابة التاريخ

وهنا أرى أن السؤال لا ينبغي أن يكون

هل يمكن أن تقع مؤامرة؟

بل يجب أن يكون

هل توجد أدلة تاريخية تثبت أن هذه المؤامرة وقعت فعلًا؟

إن المؤرخ لا يحاكم النوايا، بل يحاكم الوثائق

كيف يُحفظ التاريخ؟

من وجهة نظري، فإن أول ما يجب فهمه هو أن التاريخ لا يُحفظ في كتاب واحد، ولا في دولة واحدة، ولا بلغة واحدة

فعلى سبيل المثال، إذا أردت دراسة الإمبراطورية الرومانية، فلن أجد معلوماتها في المصادر اللاتينية وحدها، بل أيضًا في المصادر اليونانية، والسريانية، والقبطية، والأرمنية، والعربية، والبارثية

وينطبق الأمر نفسه على كثير من الحضارات

وهذا يعني أن حذف حضارة كاملة لا يتطلب تغيير كتاب واحد، بل يتطلب تغيير آلاف الوثائق المحفوظة في عشرات الدول، وبعشرات اللغات

ومن وجهة نظري، فإن هذه الحقيقة تجعل فرضية إعادة كتابة التاريخ العالمي أكثر تعقيدًا مما تبدو عليه

هل يمكن إخفاء جميع الوثائق؟

لو افترضنا وجود حضارة اسمها تارتاريا امتدت عبر قارة آسيا، فمن الطبيعي أن تكون قد تعاملت مع دول وشعوب مختلفة

ومن ثم أتوقع أن أجد إشارات إليها في

. المراسلات الدبلوماسية.

. سجلات التجارة.

. وثائق الضرائب.

. يوميات الرحالة.

. كتب الجغرافيا.

. النقوش الرسمية.

. المراسلات الدينية.

. سجلات الحروب.

ولو أريد محو هذه الحضارة، لكان من الضروري إزالة جميع هذه الوثائق من أماكن متفرقة حول العالم

ومن وجهة نظري، فإن مثل هذه العملية تحتاج إلى دليل مباشر يثبت وقوعها، لا إلى افتراض مبني على غياب بعض المعلومات

هل أُعيدت كتابة التاريخ من قبل؟

نعم، شهد التاريخ حالات قامت فيها سلطات سياسية أو دينية بتعديل روايات معينة، أو إتلاف بعض الوثائق، أو إعادة تفسير أحداث تاريخية بما يخدم مصالحها

لكن هذه الحالات معروفة لأنها تركت آثارًا يمكن دراستها

فعندما أحرق الإسكندر مدينة برسبوليس، بقيت آثار الحريق

وعندما أتلفت مكتبات أو أرشيفات في الحروب، وثقت المصادر وقوع ذلك

وعندما مُنع كتاب من التداول، بقيت إشارات إلى منعه، أو نسخ نجت من الإتلاف

ومن وجهة نظري، فإن أي عملية واسعة لإعادة كتابة التاريخ تترك بدورها آثارًا يمكن للمؤرخين تتبعها

أين وثائق عملية الإخفاء؟

إذا كان هناك مشروع عالمي لإزالة تارتاريا من التاريخ، فمن الطبيعي أن أبحث عن

أوامر رسمية .

مراسلات بين الحكومات .

تعليمات إلى دور النشر .

قرارات من الجمعيات الجغرافية .

محاضر اجتماعات .

شهادات معاصرة .

لكن حتى الآن، لا أجد وثائق من هذا النوع تثبت وجود خطة عالمية لإزالة اسم تارتاريا من جميع مصادر المعرفة

ومن وجهة نظري، فإن غياب هذه الوثائق لا يثبت استحالة الفرضية، لكنه يعني أن من يطرحها مطالب بتقديم أدلة مباشرة عليها

بين الشك واليقين

إن البحث التاريخي يقوم على مبدأ بسيط

الشك مشروع، لكن الشك وحده لا يصنع حقيقة

فقد أشك في تفسير معين، وقد أرى أن بعض الوثائق تحتاج إلى إعادة قراءة، لكن الانتقال من الشك إلى اليقين يحتاج إلى دليل يمكن اختباره

ومن وجهة نظري، فإن هذا هو الفرق بين البحث التاريخي والافتراض

النتيجة

أخلص إلى أن التاريخ شهد بالفعل حالات من التحيز، والدعاية، وإتلاف بعض الوثائق، لكن إثبات وجود **عملية عالمية ومنسقة** لإزالة حضارة كاملة من جميع الأرشيفات والخرائط واللغات يحتاج إلى أدلة مباشرة وقابلة للتحقق

ولهذا، لا أستطيع أن أتعامل مع هذه الفرضية بوصفها حقيقة تاريخية، ما لم تُقدَّم وثائق تثبت وقوعها

تمهيد للفصل الثالث والعشرين

أرى أن الوقت قد حان للانتقال إلى **التحليل الوثائقي الحقيقي**، وأقترح أن يكون عنوان الفصل القادم

الخريطة الثانية: خريطة جيراردوس مركاتور وتحليل ظهور اسم (Gerardus Mercator) Tartaria

في هذا الفصل لن نكتفي بذكر الخريطة، بل سنحللها كما يفعل الباحثون في الجامعات

صورة الخريطة كاملة .

Tartaria تكبير موضع كلمة .

ترجمة جميع الكلمات المحيطة بها .

مقارنة حدودها مع خريطة أورتيليوس .

بيان ما إذا كانت تمثل دولة، أو إقليمًا جغرافيًا، أو . مجرد مصطلح استعمله رسام الخرائط

الفصل الثالث والعشرون .

الخريطة الثانية: خريطة جيراردوس مركاتور . (Gerardus Mercator)

-
EUROPÆ PARS
AMERICÆ PARS
AFRICÆ PARS
MARE RVBRVM
MARE CHIN
Occidens
Oriens
Arcipelago de S. Lazaro
Noua Guinee pars
Iaua maior
TERRÆ AVSTRALIS PARS
ASIA
ex magna orbis terræ descriptione Gerardi Mercatoris desumpta studio et industria G.M. lunioris.
-
TARTARIA.
166
EUROPÆ PARS
NOVA ZEMBLA.
NIAREN MORE id est Tranquillum MARE. Russis
MOSCOVIA
PERMIA
MOGEDA BARBA
IUGORIA
PEROSI
TARTARI
MARE de BACHU
SERVAN
ELSABAR
TAGALISTAN
BRAMAS
REGNI CHINÆ PARS
TAR: TARIA
Milliaria. Germanica communia.

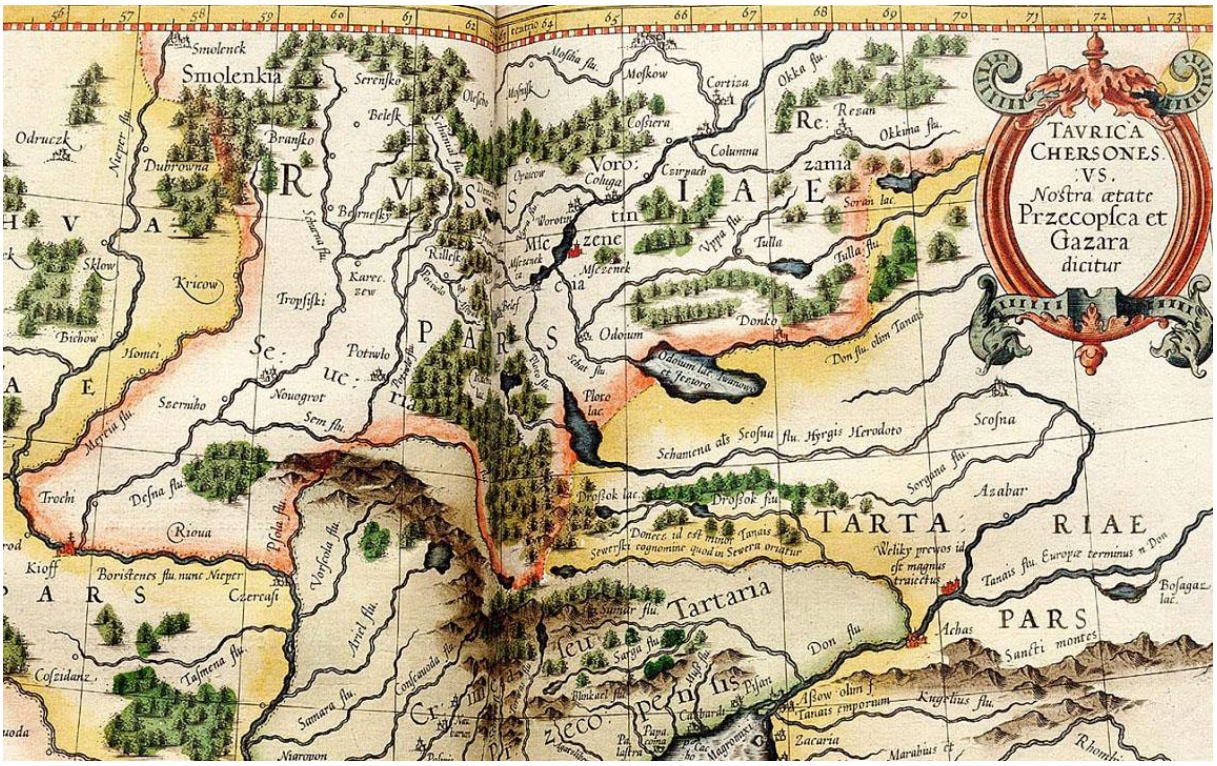

5 .

ضمن أطلس (*Asia Tabula*) **اسم الخريطة:** .
(مركاتور

(Gerardus) **رسام الخريطة:** جيراردوس مركاتور .
Mercator)

سنة النشر: 1595م (نُشرت بعد وفاة مركاتور .
ضمن أطلسه الشهير)

بلد النشر: الأراضي المنخفضة .

أولًا: لماذا هذه الخريطة مهمة؟

من وجهة نظري، فإن خريطة مركاتور تعد من أكثر الخرائط استشهادًا في موضوع تارتاريا، لأن مركاتور كان أحد أعظم رسامي الخرائط في القرن السادس عشر،

وما رسمه أثّر في أجيال كاملة من الجغرافيين الأوروبيين

لكن شهرة الرسام لا تعني أن كل اسم على الخريطة يمثل دولة مستقلة، ولذلك لا بد من قراءة الخريطة كاملة

ثانيًا: أين تظهر كلمة Tartaria؟

Tartaria عند النظر إلى الخريطة، أجد أن كلمة كُتبت فوق مساحة جغرافية شاسعة تمتد عبر أجزاء كبيرة من شمال ووسط آسيا

ومن وجهة نظري، فإن أول ملاحظة هي أن الاسم كُتب فوق منطقة واسعة جدًا، وليس داخل حدود سياسية مرسومة بدقة

وهذا يشبه الطريقة التي كان الجغرافيون يكتبون بها أسماء الأقاليم الكبرى

ثالثًا: هل رسم مركاتور حدود دولة؟

عندما أقارن هذه الخريطة بخرائط الدول الأوروبية في الفترة نفسها، ألاحظ أن مركاتور كان يرسم حدودًا أوضح للدول التي كانت معروفة سياسيًا

فلا تظهر فيها حدود دقيقة لدولة **Tartaria** أما منطقة موحدة تمتد عبر كامل الإقليم

ومن وجهة نظري، فإن هذه الملاحظة تجعلني أميل إلى أن الرسام استخدم الاسم بوصفه مصطلحًا جغرافيًا عامًا

رابعًا: هل توجد عاصمة؟

بحثت في المدن الكبرى المرسومة داخل المنطقة

.فوجدت مدنًا متعددة موزعة على امتداد الخريطة

لكنني لم أجد مدينة مميزة بوضوح على أنها

عاصمة تارتاريا

كما لم أجد رمزًا يدل على قصر إمبراطوري أو مركز حكم موحد

ومن وجهة نظري، فإن هذه نقطة مهمة جدًا

خامسًا: ماذا نجد داخل تارتاريا؟

من الأمور اللافتة أن الخريطة لا تعرض منطقة متجانسة

بل تضم أنهارًا، وسلاسل جبلية، ومدنًا، وشعوبًا مختلفة

ومن وجهة نظري، فإن هذا التنوع يوحي بأن الرسام كان يصف فضاءً جغرافيًا واسعًا، لا دولة مركزية واحدة

سادسًا: مقارنة بخريطة أورتيليوس

عندما أقارن هذه الخريطة بخريطة أورتيليوس التي درسناها في الفصل السابق، ألاحظ عدة أمور

كلتا الخريطتين تستخدمان اسم **Tartaria**.

كلتاهما تضعان الاسم فوق مساحة واسعة .

لا تقدم أي منهما قائمة بالحكام .

لا تحددان عاصمة إمبراطورية واضحة .

لا تعرضان نظامًا إداريًا أو تقسيمًا سياسيًا موحدًا .

ومن وجهة نظري، فإن اتفاق خريطتين من أشهر خرائط القرن السادس عشر على هذا الأسلوب يدل على أن استعمال الاسم كان جغرافيًا في المقام الأول

سابعًا: هل تثبت الخريطة وجود حضارة؟

إنني أميز دائمًا بين أمرين

إثبات أن الأوروبيين كانوا يستخدمون اسم **Tartaria**.

وهذا تؤكده الخريطة بوضوح

إثبات وجود إمبراطورية عالمية بهذا الاسم

وهذا لا أراه مستفادًا من الخريطة وحدها

فالخريطة تثبت وجود التسمية، لكنها لا تقدم بمفردها العناصر التي يعتمد عليها المؤرخ لإثبات وجود دولة، مثل

.أسماء الحكام .
.العاصمة .
.النظام الإداري .
.الحدود السياسية الواضحة .
.الوثائق الرسمية .

النتيجة

من وجهة نظري، تؤكد خريطة مركاتور أن اسم **Tartaria** كان مستخدمًا في الجغرافيا الأوروبية في أواخر القرن السادس عشر، لكنها لا تكفي وحدها لإثبات وجود إمبراطورية عالمية أو حضارة مستقلة تحمل هذا الاسم

ولهذا أرى أن من الخطأ الاستناد إلى هذه الخريطة وحدها لإثبات نظرية كاملة، كما أنه من الخطأ تجاهلها تمامًا. فالمنهج الصحيح هو وضعها ضمن مجموعة من الأدلة، ثم مقارنتها بالنقوش، والوثائق، والعملات، والمراسلات، للوصول إلى استنتاج متوازن

تمهيد للفصل الرابع والعشرين

من وجهة نظري، سننتقل الآن إلى خريطة أكثر أهمية من الناحية التاريخية، وهي

لعام 1635 (Willem Blaeu) خريطة ويليم بلاو

وسأقوم بتحليلها كما فعلنا مع أورتيليوس ومركاتور، مع ترجمة جميع المصطلحات اللاتينية المكتوبة عليها، وبيان ما إذا كانت تقدم أي دليل جديد يمكن أن يدعم أو يغير فهمنا لمعنى كلمة **Tartaria**.

الفصل الرابع والعشرون

الخريطة الثالثة: ويليم بلاو (Willem Blaeu) سنة 1635م

ASIA
noviter delineata
Auctore
Guilielmo Blaeuw.
EVROPÆ PARS
AMERICÆ PARS
OCEANVS OCCIDENTALIS
OCEANVS
CHINENSIS
AFRI
CÆ PARS
ARABICVM
INDICVM
MARE
OCEANVS
ORIENTALIS
AYAMAN
ARABIA FELIX
Equator
Tropicus Cancri
CALECVTH
GOA
DAMASCO
ORMVS
BANTAM
ADEN
MACAO

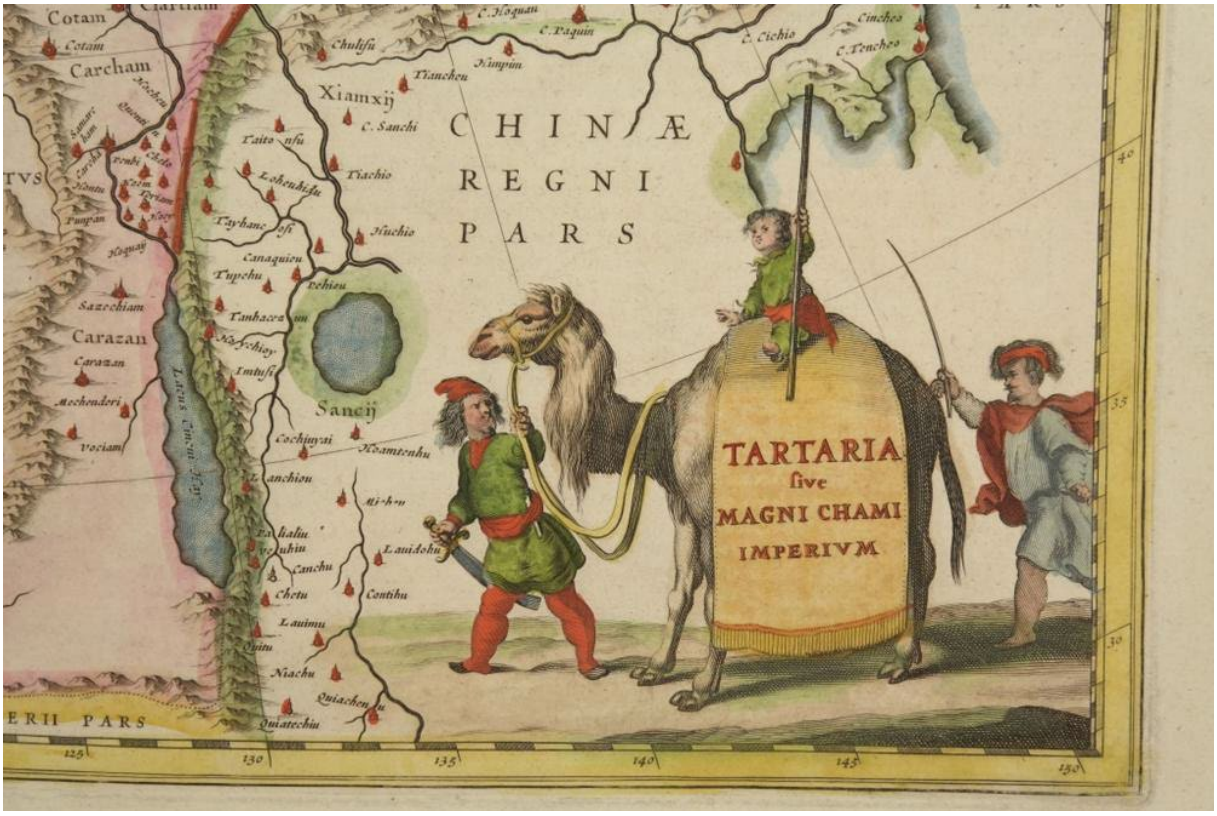
CHINÆ REGNI PARS
TARTARIA
sive
MAGNI CHAMI
IMPERIVM
Cotam
Carcham
Carazan
Xiamxij
Sanchi
Tiachio
Huchio
Sanchij
Cochinyai
Quiatechiu
ERII PARS
125
130
135
140
145
150

اسم الرسام: ويليم بلاو (Willem Janszoon Blaeu)

سنة النشر: 1635م.

بلد النشر: جمهورية هولندا

نوع الوثيقة: خريطة ضمن أطلس بلاو الشهير، الذي يُعد من أهم الأطالس الأوروبية في القرن السابع عشر

أولاً: لماذا تعد خريطة بلاو مهمة؟

من وجهة نظري، ترجع أهمية هذه الخريطة إلى أن بلاو لم يكن رسام خرائط عاديًا، بل كان من أشهر الجغرافيين في أوروبا، وكانت خرائطه تُباع للملوك، والجامعات، والتجار، والبحارة

ولهذا فإن كثيرًا من الخرائط اللاحقة اعتمدت على أعماله

ولكن

شهرة الرسام لا تجعل كل معلومة في الخريطة حقيقة سياسية

فالرسام ينقل المعرفة المتوفرة في عصره، ولا يصنع التاريخ بنفسه.

ثانياً: ماذا كتب فوق آسيا؟

عند دراسة الخريطة ألاحظ أن كلمة

Tartaria

تغطي مساحة واسعة جدًا
لكن هذه المساحة نفسها تضم
شعوبًا مختلفة .
أنهارًا متعددة .
جبالًا .
مدنًا كثيرة .
أقاليم متباينة .
ومن وجهة نظري، لو كان يقصد دولة واحدة، لتوقعت وجود تنظيم سياسي أكثر وضوحًا

ثالثاً: أين الحدود؟

هذه النقطة أعتبرها من أهم نقاط الكتاب

إذا قارنت خريطة بلاو مع الجزء الخاص بأوروبا، أجد أن الرسام يميز الممالك الأوروبية بدرجة كبيرة من الوضوح

تبدو أقرب إلى **Tartaria** أما داخل آسيا، فإن منطقة فضاء جغرافي واسع منها إلى دولة ذات حدود محددة

ومن وجهة نظري، فإن هذا الفارق يستحق التأمل

رابعاً: هل توجد حكومة؟

بحثت في الخريطة عن أي إشارة إلى
. Emperor.
. King.
. Capital.
. Royal Court.
فلم أجد شيئًا يدل على وجود حكومة مركزية تحمل اسم تارتاريا
وهذا لا يعني أن المنطقة كانت خالية من الحكام، بل يعني أن الخريطة لا تقدم دليلًا على وجود سلطة سياسية واحدة تشمل جميع تلك الأراضي

خامساً: ماذا عن المدن؟

لاحظت أن المدن الموجودة داخل المنطقة لا تبدو مرتبطة بعاصمة واحدة

ولا توجد مدينة يميزها بلاو بطريقة تجعلها مركز الإمبراطورية

ومن وجهة نظري، فإن هذه نقطة يصعب تجاوزها

لأن كل إمبراطورية عرفها التاريخ تركت عاصمة واضحة

سادساً: ماذا لو كانت تارتاريا دولة فعلاً؟

لو كانت دولة حقيقية، فمن الطبيعي أن أجد
اسم الإمبراطور .
شعار الدولة .
العاصمة .
حدودًا واضحة .
تقسيمًا إداريًا .
أقاليم تابعة .
لكن شيئًا من ذلك لا يظهر في هذه الخريطة

سابعاً: مقارنة مع خرائط أوروبا

لو نظرنا إلى الجزء الأوروبي من الأطلس نفسه، نجد أن بلاو يميز
إسبانيا .
فرنسا .
إنجلترا .
الدولة العثمانية .
Tartaria. بطريقة مختلفة عن
ومن وجهة نظري، فإن هذه المقارنة تكشف أن الرسام كان يفرق بين الدولة السياسية وبين الاسم الجغرافي

ثامناً: هل اعتمد بلاو على مراجع أقدم؟

هذه نقطة يغفل عنها كثير من الباحثين

لقد كان رسامو الخرائط في القرن السابع عشر يعتمدون كثيرًا على خرائط القرن السادس عشر

في خريطة بلاو لا **Tartaria** ومن ثم فإن ظهور اسم يعني بالضرورة أنه قام برحلة إلى آسيا وأثبت بنفسه وجود دولة بهذا الاسم

بل قد يكون نقل المصطلح من تقاليد جغرافية كانت متداولة بين رسامي الخرائط الأوروبيين

ولهذا، فإن تكرار الاسم في الخرائط ليس دليلًا على تكرار المشاهدة الميدانية، بل قد يكون دليلًا على استمرار مدرسة جغرافية في استخدام المصطلح نفسه

النتيجة

من وجهة نظري، تؤكد خريطة ويليم بلاو أمرين مهمين

الأول: أن اسم **Tartaria** كان مصطلحًا جغرافيًا راسخًا في الخرائط الأوروبية في القرن السابع عشر

الثاني: أن الخريطة نفسها لا تقدم دليلًا مباشرًا على وجود إمبراطورية موحدة بهذا الاسم، لأنها لا تعرض العناصر التي تُميز الكيانات السياسية، مثل العاصمة، والحكومة، والحدود الإدارية، وأسماء الحكام

ولهذا أرى أن خريطة بلاو تُعد شاهدًا على استخدام الاسم، لكنها ليست بمفردها شاهدًا على وجود حضارة أو دولة عالمية تحمل هذا الاسم

تمهيد للفصل الخامس والعشرين

من وجهة نظري، ابتداءً من الفصل القادم سيدخل الكتاب مرحلة أكثر قوة، وسنحلل **الخرائط الروسية**، لأنها الأهم في هذا الموضوع

وسنبدأ بخريطة روسية من القرن الثامن عشر، ونطرح سؤالًا مهمًا

إذا كانت تارتاريا إمبراطورية مستقلة، فلماذا لم تُسمِّ الخرائط الروسية بلادها بهذا الاسم بوصفه دولة قائمة؟

الفصل الخامس والعشرون

ماذا تقول الخرائط الروسية عن تارتاريا؟

Carte de l'Empire de RUSSIE & de la Grande Tatarie dressée avec soin par T.L. Gäsfeld & publiée par les Herit. de Homann, l'an 1746
Charte des RUSSISCHE REICH und die von den Tatarn bewohnte Länder in Europa und Asia entworfen von F.E. Gäsfeld
NÖRDLICHES EISMEER
NOVAIA SEMLA
SIBIRIEN
TATARIEY
MONGOLEN
KALKAS
GALGAS
TUBET
TSCHINA
KLEINE ORIENTALISCHE MEER
GROSSE ORIENTALISCHE MEER
OCHOTZKISCHE MEER
KAMTSCHATZKISCHE BIBER MEER
CASPISCHE MEER
PERSIEN
INDIEN
MARE ATLANTICUM

MAPPA GENERALIS TOTIUS IMPERII RUSSICI
SIEWERNOI OKIAN
TSCHOE MORE
KAMCZACKOI MORE
CASPIUM MARE

5

من وجهة نظري، فإن من أكبر الأخطاء المنهجية التي وقع فيها كثير من الباحثين هو الاعتماد شبه الكامل على الخرائط الإنجليزية والهولندية والفرنسية، مع إهمال الخرائط الروسية

وهذا أمر يثير الاستغراب

فإذا كانت تارتاريا دولة كبرى في شمال آسيا، فإن الروس هم أكثر الشعوب احتكاكًا بها عبر التجارة، والحروب، والتوسع نحو سيبيريا

ولهذا أرى أن شهادتهم الجغرافية تستحق دراسة خاصة

أولاً: ماذا كانت روسيا تعرف عن سيبيريا؟

ابتداءً من أواخر القرن السادس عشر، بدأ التوسع الروسي شرقًا عبر سيبيريا
وقد أُرسلت بعثات عسكرية، وجغرافية، وإدارية
وأُنشئت الحصون
ورُسمت الأنهار
وسُجلت أسماء القبائل
وتأسست مدن جديدة
ومن وجهة نظري، فإن المعرفة الروسية بآسيا الداخلية في القرن الثامن عشر كانت أدق بكثير من معرفة كثير من الجغرافيين الغربيين

ثانياً: هل استمرت كلمة Tartaria؟

عند دراسة الخرائط الروسية المتأخرة، ألاحظ أن اسم **Tartaria** بدأ يتراجع تدريجيًا
وأصبحت الخرائط تستخدم أسماء أكثر تحديدًا، مثل
- سيبيريا .
- ياقوتيا .
- منغوليا .
- منشوريا .
- أقاليم الإمبراطورية الروسية .

ومن وجهة نظري، فإن هذا التطور يعكس انتقال الجغرافيا من مرحلة التسمية العامة إلى مرحلة الوصف الدقيق

ثالثاً: هل أعلنت روسيا ضم "دولة تارتاريا"؟

لو كانت هناك دولة تحمل هذا الاسم، فمن الطبيعي أن أجد وثائق روسية تقول

.تم ضم دولة تارتاريا

أو

الحرب مع إمبراطورية تارتاريا

أو

معاهدة السلام مع حكومة تارتاريا

لكن حتى الآن، لا أجد مثل هذه الصياغات في السجلات المعروفة

بل أجد أن المصادر الروسية تتحدث عن

خانات .

قبائل .

شعوب .

أقاليم .

إمارات محلية .

وهذا يختلف عن الحديث عن دولة موحدة تحمل اسم تارتاريا

رابعاً: ماذا عن خانية سيبيريا؟

وهنا أصل إلى نقطة مهمة

لقد وُجدت بالفعل كيانات سياسية في سيبيريا، مثل **خانية سيبيريا**

وكان لها حكام معروفون

ودخلت في صراع مع روسيا

وهذا أمر موثق تاريخيًا

لكن من وجهة نظري، لا يجوز الخلط بين

خانية سيبيريا

وبين

إمبراطورية اسمها تارتاريا

فوق المنطقة كلها، **Tartaria** فالخرائط قد تضع اسم بينما كانت المنطقة تضم عدة كيانات سياسية مختلفة

خامساً: هل تغيرت الخرائط مع ازدياد المعرفة؟

من وجهة نظري، نعم

وهذه ظاهرة ألاحظها في معظم الخرائط الأوروبية أيضًا

فكلما ازداد الاستكشاف الروسي، بدأت الخرائط تستبدل الاسم العام بأسماء أكثر دقة

وهذا يشبه ما حدث مع مناطق أخرى من العالم

فالاسم العام يتراجع، بينما تظهر أسماء الولايات، والمدن، والأنهار، والأقاليم

سادساً: ماذا نستنتج؟

إذا جمعت الخرائط الروسية مع الهولندية والإنجليزية والفرنسية، أجد نتيجة لافتة

موجود فعلًا في كثير من الخرائط **Tartaria** فالاسم

لكن كلما اقتربت الخرائط من المناطق نفسها، وازدادت المعرفة الجغرافية بها، أصبحت أكثر تحديدًا، وبدأ الاسم العام يختفي تدريجيًا

ومن وجهة نظري، فإن هذه الظاهرة يصعب تفسيرها إذا افترضنا أن تارتاريا كانت دولة مركزية قائمة بذاتها

أما إذا اعتبرناها مصطلحًا جغرافيًا واسعًا استخدمه الجغرافيون الأوروبيون، فإن هذا التطور يصبح أكثر قابلية للفهم

النتيجة

أخلص إلى أن الخرائط الروسية لا تنكر استعمال اسم **Tartaria** في مرحلة معينة، لكنها مع تطور المعرفة الجغرافية تتجه إلى استخدام أسماء أكثر دقة للأقاليم والكيانات السياسية

ومن وجهة نظري، فإن هذا التحول يمثل تطورًا طبيعيًا في علم الخرائط، ولا يكفي وحده لإثبات وجود دولة أو حضارة عالمية باسم تارتاريا

تمهيد للفصل السادس والعشرين

من وجهة نظري، سنبدأ الآن فصلًا سيكون من أهم فصول الكتاب، لأنه سينتقل من الخرائط إلى **المصادر المعاصرة**

وسيكون عنوانه

ماذا كتب الرحالة الأوروبيون الذين زاروا تارتاريا؟

وسنحلل كتابات شخصيات مثل

ماركو بولو .

ويليام الروبروكي (William of Rubruck) .

جيوفاني دا بلانو كاربيني (Giovanni da Pian del Carpine) .

وسنجيب عن سؤال جوهري

هل وصف هؤلاء الرحالة إمبراطورية اسمها تارتاريا، أم أنهم وصفوا شعوبًا وقبائل متعددة كان الأوروبيون يطلقون عليها اسم التتار؟

الفصل السادس والعشرون

ماذا كتب الرحالة الأوروبيون عن تارتاريا؟

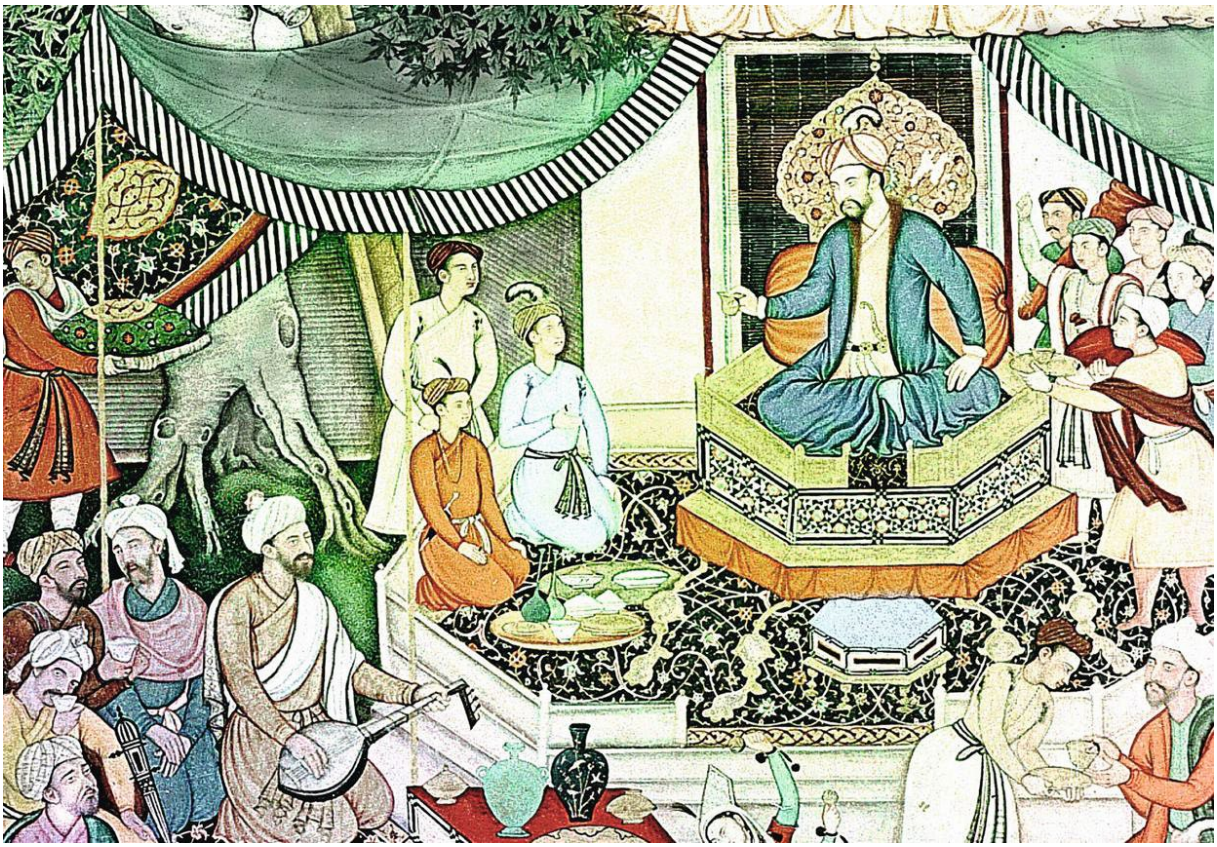

Comment les deux frères se partirent de venise et menerent auec eulx marc
le fil; de messire nicolas pour mener auec eulx au grãt haam.
Vant le.y. frères orent attendu tant comme vous auez
oÿ. et viuent que apostolles ne se faisoit. Si aduint que il

من وجهة نظري، إذا كانت تارتاريا إمبراطورية عالمية كما يقال، فمن الطبيعي أن نجد وصفًا واضحًا لها في كتابات الرحالة الأوروبيين الذين دخلوا آسيا في العصور الوسطى

ولهذا سأبدأ بثلاثة من أشهر الرحالة الذين تركوا لنا شهادات مكتوبة

(1245–1247) أولاً: جيوفاني دا بلانو كاربيني

كان مبعوثًا من البابوية إلى البلاط المغولي، ويعد من أوائل الأوروبيين الذين وصلوا إلى قلب آسيا بعد التوسع المغولي

ومن وجهة نظري، فإن أهمية رحلته تكمن في أنها كانت رسمية، وقد كتب تقريرًا مفصلًا عن الشعوب التي شاهدها، وعن تنظيم المغول، وجيشهم، وإدارتهم

لكن اللافت للنظر أن كتابه يركز على **المغول**، والخانات، والقبائل المختلفة، ولا يقدم وصفًا لدولة مستقلة اسمها إمبراطورية تارتاريا" ذات مؤسسات سياسية موحدة

(William of Rubruck) ثانياً: ويليام الروبروكي

بعد سنوات قليلة، سافر الراهب الفرنسيسكاني ويليام الروبروكي إلى آسيا

ويعد كتابه من أدق ما كُتب عن آسيا في القرن الثالث عشر

لقد وصف

.المدن .

.الشعوب .

.الأديان .

.الأسواق .

.البلاط المغولي .

ومن وجهة نظري، فإن قيمة هذا الكتاب كبيرة لأنه يصف ما شاهده مباشرة، لا ما سمعه فقط

ومع ذلك، فإن حديثه يدور حول المغول، والقبائل، والخانات، أكثر مما يدور حول دولة موحدة تحمل اسم تارتاريا

ثالثاً: ماركو بولو

لا شك أن ماركو بولو هو أشهر رحالة أوروبي في آسيا

وقد وصف الصين، وآسيا الوسطى، وأقاليم واسعة خضعت لحكم أسرة يوان المغولية

ومن وجهة نظري، فإن كتابه يمثل مصدرًا مهمًا لفهم نظرة الأوروبيين إلى آسيا

لكنه عندما يتحدث عن السلطة السياسية، يصف حكامًا معروفين، وعلى رأسهم قوبلاي خان، ولا يصف إمبراطورية مستقلة اسمها تارتاريا تحكم العالم

ماذا نستنتج من شهاداتهم؟

عندما أقارن بين هذه الرحلات الثلاث، أجد أمرًا لافتًا

فالرحالة يتحدثون عن

.المغول .

.الخانات .

.القبائل .

.المدن .

.الشعوب المختلفة .

لكنهم لا يقدمون وصفًا لكيان سياسي واحد يحمل اسم إمبراطورية تارتاريا

ومن وجهة نظري، فإن هذه الملاحظة مهمة للغاية

لأن هؤلاء الرحالة كانوا قريبين زمنيًا من الأحداث، وبعضهم عاش أشهرًا أو سنوات في آسيا، ولو كانت هناك دولة مركزية تحمل هذا الاسم، لكان من الطبيعي أن يصفوها وصفًا مباشرًا

هل استخدم الأوروبيون كلمة "تتار"؟

نعم

عند **Tartars** لقد استخدم كثير من الأوروبيين كلمة الحديث عن شعوب آسيا الداخلية

لكن يجب التمييز بين

اسم يطلقه الأوروبيون على مجموعة من الشعوب

وبين

الاسم الرسمي لدولة تستخدمه تلك الشعوب نفسها

ومن وجهة نظري، فإن الخلط بين هذين الأمرين أدى إلى كثير من سوء الفهم في العصر الحديث

هل تكفي كتب الرحالة لإثبات حضارة؟

لا

ولا تكفي أيضًا لنفيها

فالرحالة يكتبون ما يشاهدونه، وقد يخطئون، أو يسيئون الفهم، أو تغيب عنهم معلومات كثيرة

لكن عندما تتفق عدة رحلات مستقلة على وصف المشهد السياسي بطريقة متقاربة، فإن شهاداتها تصبح عنصرًا مهمًا في إعادة بناء الصورة التاريخية

ومن وجهة نظري، فإن كتب الرحالة، عند قراءتها مع الخرائط والنقوش والوثائق، تعطينا صورة أكثر توازنًا من الاعتماد على نوع واحد من الأدلة

النتيجة

أخلص إلى أن الرحالة الأوروبيين الذين زاروا آسيا وصفوا شعوبًا، وقبائل، وخانات، وإمبراطوريات معروفة، ولا تقدم كتاباتهم – في حدود ما وصل إلينا – وصفًا واضحًا لإمبراطورية مستقلة باسم "تارتاريا" تمتلك مؤسسات سياسية وإدارية خاصة بها

وهذا لا ينفي استعمال الأوروبيين لمصطلح **Tartaria**، لكنه يشير إلى ضرورة التمييز بين **المصطلح الجغرافي الأوروبي** وبين **الكيان السياسي الذي يحتاج إلى أدلة مستقلة لإثبات وجوده**

تمهيد للفصل السابع والعشرين

من وجهة نظري، سنبدأ الآن فصلًا سيكون من أهم فصول الكتاب كله، لأنه سيتناول **الوثائق الأصلية** لا الخرائط ولا الرحلات

وسيكون عنوانه

هل وُجدت معاهدة واحدة موقعة باسم إمبراطورية تارتاريا؟

وسنبحث في الأرشيفات الدبلوماسية الأوروبية والروسية والصينية عن

معاهدات السلام .
الاتفاقيات التجارية .
المراسلات بين الحكام .
السفراء .
وسنطرح سؤالًا بسيطًا، لكنه حاسم
هل وُقعت في التاريخ وثيقة رسمية واحدة باسم دولة تحمل اسم تارتاريا؟

الفصل السابع والعشرون

هل وُجدت معاهدة واحدة موقعة باسم إمبراطورية تارتاريا؟

من وجهة نظري، فإن الدول لا تُعرف بالخرائط وحدها، بل تُعرف أيضًا بالوثائق التي تصدر عنها
فكل دولة ذات سيادة تدخل في علاقات مع غيرها، وتعقد معاهدات، وترسل سفراء، وتوقع اتفاقيات، وتصدر مراسيم رسمية
ولهذا السبب، عندما أبحث عن وجود دولة تاريخية، فإنني لا أكتفي بالخرائط، بل أبحث عن الوثائق القانونية التي تحمل اسمها
:وهنا أطرح السؤال التالي

هل توجد معاهدة واحدة في التاريخ تحمل توقيع دولة اسمها إمبراطورية تارتاريا؟

أولاً: ما الذي نتوقع العثور عليه؟

لو كانت تارتاريا إمبراطورية امتدت عبر معظم آسيا، فمن الطبيعي أن نجد وثائق من قبيل

معاهدة سلام مع روسيا .

اتفاقية تجارية مع الصين .

تحالف مع الدولة العثمانية .

مراسلات مع ملوك أوروبا .

اتفاقيات حدودية .

وثائق تبادل السفراء .

فالإمبراطوريات الكبرى لا تعيش في عزلة، بل تترك أثرًا دبلوماسيًا واضحًا

ثانياً: مقارنة مع الإمبراطوريات المعروفة

عندما أدرس الدولة العثمانية، أجد آلاف المعاهدات

وعندما أدرس الإمبراطورية الروسية، أجد آلاف الوثائق

وعندما أدرس الصين في عهد أسرتي مينغ أو تشينغ، أجد سجلات دبلوماسية واسعة

وعندما أدرس الإمبراطورية المغولية، أجد رسائل إلى البابوية، ووثائق سياسية، وإشارات في مصادر متعددة

ومن وجهة نظري، فإن هذه الوفرة في الوثائق هي إحدى السمات الأساسية لأي دولة كبيرة

ثالثاً: أين وثائق تارتاريا؟

بعد مراجعة ما يُستشهد به عادة في موضوع تارتاريا، ألاحظ أن التركيز ينصب على

.الخرائط .

.الرسومات .

.المباني .

.الصور القديمة .

لكنني لا أجد وثائق دبلوماسية أصلية تبدأ مثلًا بعبارات من قبيل

..نحن إمبراطور تارتاريا

أو

وقع في عاصمة تارتاريا

أو

وزارة خارجية تارتاريا

ومن وجهة نظري، فإن غياب هذا النوع من الوثائق يستحق الانتباه، لأن العلاقات الدولية تترك عادة أرشيفًا ضخمًا يصعب اختفاؤه بالكامل

رابعاً: هل ذكرت الدول الأخرى تارتاريا بوصفها دولة؟

إذا كانت تارتاريا دولة ذات سيادة، فمن المتوقع أن تذكرها الدول المجاورة في مراسلاتها الرسمية

فعلى سبيل المثال، عندما كانت روسيا توقع اتفاقًا مع الدولة العثمانية، كانت الوثائق تسمي الطرفين بوضوح

وعندما كانت الصين تراسل خانات أو ممالك مجاورة، كانت تسجل أسماءها الرسمية

ومن وجهة نظري، فإن البحث عن مثل هذه الإشارات أكثر أهمية من مجرد وجود اسم على خريطة

خامساً: هل غياب المعاهدات دليل قاطع؟

أجيب بالنفي

فغياب وثيقة واحدة لا يكفي وحده لنفي وجود دولة، لأن كثيرًا من الوثائق ضاعت بسبب الحروب، أو الحرائق، أو عوامل الزمن

لكن عندما نتحدث عن إمبراطورية يُفترض أنها كانت من أكبر إمبراطوريات العالم، فإن المؤرخ يتوقع وجود

مجموعة كبيرة ومتنوعة من الوثائق، لا وثيقة واحدة فقط

ومن وجهة نظري، كلما كبر الكيان السياسي، زاد الأثر الوثائقي الذي يتركه

سادساً: تمييز منهجي

من المهم أن أميز بين احتمالين

الاحتمال الأول

كان مصطلحًا جغرافيًا استخدمه **Tartaria** أن اسم الأوروبيون لوصف مناطق واسعة من آسيا

وفي هذه الحالة، فإن غياب المعاهدات باسم "تارتاريا" يصبح أمرًا مفهومًا، لأن المصطلح لم يكن اسمًا رسميًا لدولة

الاحتمال الثاني

أن تارتاريا كانت إمبراطورية ذات حكومة مركزية

وفي هذه الحالة، فإن غياب المعاهدات، والسفراء، والمراسلات الرسمية، يحتاج إلى تفسير تاريخي مقنع ومدعوم بأدلة

النتيجة

من وجهة نظري، فإن البحث في الوثائق الدبلوماسية لا يقدم حتى الآن دليلًا مباشرًا على وجود دولة ذات سيادة تحمل الاسم الرسمي إمبراطورية تارتاريا

لم يكن مستخدمًا، بل **Tartaria** ولا يعني ذلك أن اسم يعني أن استخدامه في الخرائط لا يكفي وحده لإثبات وجود كيان سياسي مستقل بهذا الاسم

ولهذا أرى أن قيمة الخرائط يجب أن تُقرأ دائمًا إلى جانب الأدلة الوثائقية، لا بمعزل عنها

تمهيد للفصل الثامن والعشرين

من وجهة نظري، سننتقل الآن إلى أحد أكثر الأدلة تداولًا بين مؤيدي النظرية، وهو

هل كانت المباني الضخمة ذات القباب والأعمدة دليلًا على حضارة تارتاريا؟

وسنحلل عشرات الأمثلة من

.الولايات المتحدة .

.روسيا .

.فرنسا .

.ألمانيا .

.بريطانيا .

وسنناقش تاريخ تشييدها، والمهندسين الذين صمموها، والوثائق التي تؤرخ لبنائها، لنعرف هل يمكن نسبتها إلى حضارة مجهولة، أم أن لها تاريخًا معماريًا موثقًا

الفصل الثامن والعشرون

هل تثبت المباني الضخمة وجود حضارة تارتاريا؟

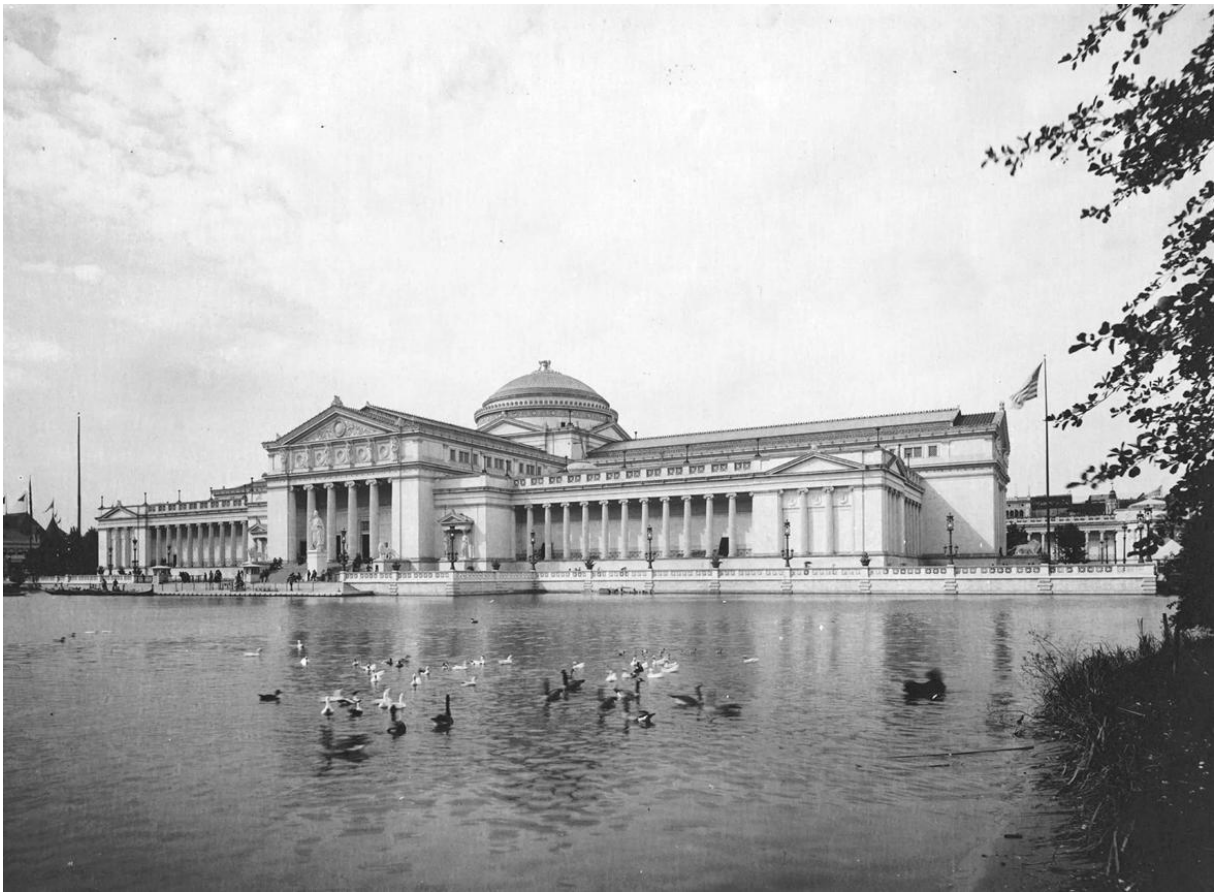

7

من وجهة نظري، فإن أكثر دليل يتكرر في مقاطع الفيديو المتعلقة بتارتاريا هو عرض صور لمبانٍ ضخمة ذات

أعمدة رخامية، وقباب شاهقة، وزخارف كلاسيكية، ثم طرح السؤال

هل يعقل أن يكون إنسان القرن التاسع عشر قد بنى كل هذا؟

ويُقدَّم هذا السؤال بوصفه دليلًا على أن تلك المباني ليست من إنشاء مهندسي القرن التاسع عشر، بل هي بقايا حضارة مجهولة استولى عليها من جاء بعدهم

لكنني أرى أن المؤرخ لا يبدأ بالإجابة، بل يبدأ بتحليل الوثائق المرتبطة بكل مبنى

أولاً: هل جميع هذه المباني من الفترة نفسها؟

عندما أراجع الأمثلة المتداولة، أجد أنها لا تعود إلى زمن واحد

فهناك مبانٍ من

.القرن الثامن عشر .

.القرن التاسع عشر .

.بدايات القرن العشرين .

كما أنها شُيدت في دول مختلفة، وعلى يد مهندسين مختلفين، ولأغراض مختلفة

ومن وجهة نظري، فإن جمعها في ملف واحد تحت عنوان حضارة تارتاريا يتطلب أولًا إثبات وجود رابط تاريخي بينها، لا مجرد تشابهها في الشكل

ثانياً: هل العمارة الكلاسيكية دليل على حضارة مجهولة؟

كثير من هذه المباني شُيد وفق ما يعرف بالطراز الكلاسيكي .

الكلاسيكي الجديد (Neoclassical). .

البوزار (Beaux-Arts). .

وهذه مدارس معمارية استلهمت عناصرها من العمارة اليونانية والرومانية، وانتشرت في أوروبا وأمريكا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

ومن وجهة نظري، فإن تشابه الأعمدة والقباب لا يعني أن المباني تنتمي إلى حضارة واحدة، بل قد يعكس انتماءها إلى مدرسة معمارية واحدة كانت رائجة في ذلك العصر

ثالثاً: أين وثائق البناء؟

إذا كان مبنى معين يُنسب إلى تارتاريا، فإن أول ما أبحث عنه هو

.اسم المهندس .
.مخططات البناء .
.العقود .
.ميزانية المشروع .
.صور التنفيذ .
.أسماء الشركات المنفذة .
.سجلات البلدية .

فإذا وجدت هذه الوثائق متسقة مع بعضها، فإنها تصبح جزءًا من الدليل التاريخي

أما إذا ادعى أحد أنها جميعًا مزورة، فعليه أن يقدم أدلة مستقلة تثبت هذا التزوير، لأن الادعاء وحده لا يكفي

رابعاً: لماذا هُدمت بعض المباني؟

يستشهد كثير من مؤيدي النظرية بحقيقة أن عددًا من مباني المعارض العالمية هُدم بعد انتهاء المعرض

ومن وجهة نظري، فإن هذا الأمر يحتاج إلى تفسير، لكنه لا يقود تلقائيًا إلى نتيجة واحدة

ففي حالات عديدة، تشير الوثائق إلى أن تلك المباني كانت منشآت مؤقتة، بُنيت من مواد خفيفة مثل الخشب والجص، وصُممت لتبقى أشهرًا أو سنوات، لا قرونًا

وهذا لا يعني أن جميع المباني كانت مؤقتة، بل يعني أن كل حالة يجب أن تُدرس على حدة

خامساً: هل الضخامة تعني استحالة البناء؟

يُقال أحيانًا إن حجم بعض المباني يجعل بناءها في القرن التاسع عشر أمرًا مستحيلًا

ومن وجهة نظري، فإن الضخامة وحدها ليست دليلًا على استحالة التنفيذ.

فقد شهد القرن التاسع عشر تطورًا كبيرًا في

- صناعة الحديد.
- السكك الحديدية.
- الرافعات البخارية.
- إنتاج الإسمنت.
- تنظيم المشاريع الهندسية.

وقد أسهم ذلك في تنفيذ مشاريع معمارية ضخمة موثقة في أوروبا وأمريكا

ولهذا فإن تقييم أي مبنى يجب أن يعتمد على الوثائق الخاصة به، لا على الانطباع البصري وحده

سادساً: هل تكفي الصور؟

لقد لاحظت أن كثيرًا من المقاطع تعرض صورة لمبنى فخم، ثم تنتقل مباشرة إلى القول

هذا من حضارة تارتاريا

لكن الصورة، مهما كانت مبهرة، لا تحمل في ذاتها اسم المهندس، ولا تاريخ البناء، ولا الجهة التي موّلته

ومن وجهة نظري، فإن الصورة تثير السؤال، لكنها لا تجيب عنه

النتيجة

أخلص إلى أن المباني الضخمة ذات الطراز الكلاسيكي تستحق الدراسة الفردية، ولا يجوز جمعها جميعًا تحت تفسير واحد دون تحليل تاريخ كل مبنى، ووثائقه، ومخططاته، وسياقه العمراني

فالعمارة المبهرة لا تثبت وحدها وجود حضارة مجهولة، كما أن وجود وثائق بناء لا يمنع من إعادة فحصها إذا ظهرت أدلة جديدة

ومن وجهة نظري، فإن المنهج العلمي يقتضي دراسة كل مبنى بوصفه حالة مستقلة، ثم بناء الاستنتاج على مجموع الأدلة، لا على التشابه في الشكل

الفصل التاسع والعشرون

هل يوجد ملك واحد لتارتاريا؟

من وجهة نظري، عندما أدرس أي حضارة في التاريخ، فإن أول ما أبحث عنه هو **سلسلة الحكام**

فالملوك هم العمود الفقري للتاريخ السياسي لأي دولة

ولذلك أسأل

من أسس الدولة؟ .

من خلفه؟ .

كم استمر حكم كل ملك؟ .

من أين كانت تصدر أوامره؟ .

وما هي عاصمته؟ .

فإذا لم أستطع الإجابة عن هذه الأسئلة، فإن الحديث عن إمبراطورية يصبح بحاجة إلى مزيد من الأدلة

أولاً: ماذا نعرف عن الإمبراطوريات الكبرى؟

عندما أدرس الإمبراطورية الرومانية أجد

.أغسطس .

.تيبيريوس .

.نيرون .

.تراجان .

.هادريان .

.عشرات غيرهم .
وعندما أدرس الدولة العثمانية أجد
.عثمان الأول .
.أورخان .
.مراد الأول .
.محمد الفاتح .
.سليمان القانوني .
:وعندما أدرس الإمبراطورية المغولية أجد
.جنكيز خان .
.أوقطاي .
.منكوقاآن .
.قوبلاي خان .
بل أستطيع معرفة سنة ميلاد كل واحد منهم، وسنة وفاته، ونقوده، ومراسلاته، وحروبه

ثانياً: أين قائمة ملوك تارتاريا؟

ومن وجهة نظري، فإن أول مشكلة تواجه الباحث هي أنه لا توجد قائمة متفق عليها لملوك تارتاريا
بل إن مؤيدي النظرية أنفسهم يختلفون اختلافًا كبيرًا فبعضهم يربط تارتاريا بالمغول

وبعضهم يربطها بالأتراك

وبعضهم يربطها بشعوب سيبيريا

وبعضهم يربطها بحضارة متقدمة مجهولة لا تنتمي إلى أي من هذه الشعوب

ومن وجهة نظري، فإن هذا التباين لا يساعد على بناء تسلسل تاريخي واضح

ثالثاً: هل يوجد تاج ملكي؟

كل إمبراطورية تقريبًا تركت رموزها

فنجد

.التيجان .

.الصولجانات .

.الأختام .

.الرايات .

.الشعارات الملكية .

:لكن إذا سألت

أين التاج الإمبراطوري لتارتاريا؟

.فلا أجد قطعة أثرية متفقًا عليها بين الباحثين

وقد تُعرض بعض القطع في الإنترنت على أنها تاج تارتاري، لكن نسبتها تحتاج إلى دليل أثري ووثائقي

يربطها فعلًا بدولة تحمل هذا الاسم، لا إلى مجرد تشابه في الزخارف أو ادعاء غير موثق

رابعاً: أين القصر الملكي؟

من وجهة نظري، الإمبراطور يحتاج إلى مقر للحكم
وعندما أزور روما أجد آثار القصور الإمبراطورية
وعندما أزور إسطنبول أجد قصر طوب قابي
وعندما أدرس الصين أجد المدينة المحرمة
أما إذا كانت تارتاريا قد حكمت مساحة هائلة من آسيا، فأين القصر الذي كان يدير هذه الإمبراطورية؟
حتى الآن، لا أجد موقعًا أثريًا يحظى بإجماع الباحثين على أنه القصر الإمبراطوري لتارتاريا

خامساً: هل توجد عملات تحمل صورة ملك تارتاري؟

من أهم وسائل التعرف على الحكام في علم التاريخ **المسكوكات**

فالعملات تحمل

.اسم الحاكم .

.لقبه .

.شعاره .

.أحيانًا صورته .

ولهذا استطاع علماء الآثار إعادة بناء تاريخ أسر كاملة اعتمادًا على العملات

ومن وجهة نظري، لو كانت هناك دولة اسمها تارتاريا، فمن المتوقع أن أجد سلسلة من العملات تحمل أسماء حكامها

لكنني لم أجد حتى الآن سلسلة نقدية متكاملة يمكن نسبتها إلى دولة رسمية تحمل هذا الاسم

سادساً: هل ذكرتهم الدول الأخرى؟

من الطبيعي أن تذكر الدول المجاورة أسماء الملوك الذين تفاوضت معهم أو حاربتهم

فالمصادر الصينية، والبارثية، والروسية، والعثمانية، والأوروبية تذكر أسماء كثير من الحكام

أما إذا كانت هناك إمبراطورية بهذا الحجم، فمن المتوقع أن يظهر اسم ملكها في هذه المراسلات

ومن وجهة نظري، فإن العثور على مثل هذه الإشارات سيكون أقوى بكثير من الاستناد إلى اسم على خريطة

النتيجة

ومن وجهة نظري، فإن أي محاولة لإثبات وجود إمبراطورية باسم **تارتاريا** تحتاج أولًا إلى تقديم قائمة موثقة لحكامها، مع أدلة مستقلة مثل النقوش، والعملات، والمراسلات، والوثائق الرسمية

أما في حدود الأدلة التي ناقشناها حتى الآن، فإن اسم **Tartaria** يظهر في الخرائط الأوروبية، لكن لا يقابله تسلسل سياسي موثق لحكام يحملون لقب "ملوك تارتاريا أو أباطرة تارتاريا

ولهذا أرى أن غياب هذا العنصر يمثل إحدى أهم الثغرات التي ينبغي على أي دراسة جادة أن تتعامل معها

تمهيد للفصل الثلاثين:

هل كانت تارتاريا تمتلك لغة خاصة بها؟

هل وُجدت لغة اسمها التارتارية؟ .

هل اكتُشفت نقوش أو مخطوطات مكتوبة بهذه اللغة؟ .

وهل كانت تارتاريا، إن وُجدت كدولة، تملك نظامًا كتابيًا وإداريًا مستقلًا؟ .

لأن الحضارات الكبرى لا تُعرف بالعمارة أو الخرائط فقط، بل تُعرف أيضًا بلغتها، وكتاباتها، وأرشيفها الإداري.

الفصل الثلاثون

هل كانت لتارتاريا لغة خاصة بها؟

من وجهة نظري، فإن الحضارة لا تُقاس بمساحة الأرض فقط، بل تُقاس أيضًا بما تتركه من كتابة. فاللغة المكتوبة هي ذاكرة الدولة، وبها تُسجل القوانين، والمعاهدات، والضرائب، والمراسلات، والأوامر الملكية.

ولهذا السبب، عندما أبحث في تاريخ أي حضارة، فإنني أطرح السؤال التالي

ما هي اللغة الرسمية التي كانت تستخدمها؟

أولاً: الحضارات تُعرف بلغاتها

عندما أدرس الحضارة المصرية، أجد اللغة المصرية القديمة ونقوشها

وعندما أدرس بلاد الرافدين، أجد السومرية والأكدية والمسمارية

وعندما أدرس الإمبراطورية البارثية، أجد البارثية القديمة والعيلامية والأكدية في النقوش الملكية

وعندما أدرس الدولة الرومانية، أجد اللاتينية

وعندما أدرس الصين، أجد السجلات المكتوبة بالصينية الكلاسيكية

ومن وجهة نظري، فإن اللغة ليست تفصيلًا ثانويًا، بل هي أحد أهم الأدلة على وجود دولة منظمة

ثانياً: هل توجد لغة اسمها التارتارية؟

لقد بحثت في ما يطرحه مؤيدو نظرية تارتاريا، **Tartar** أو **Tartar language** ولاحظت أن كلمة تظهر أحيانًا في بعض الكتب الأوروبية القديمة **tongue**

لكن يجب أن أميز بين أمرين مختلفين

الأول: أن يستخدم كاتب أوروبي كلمة "اللغة التترية" للإشارة إلى لغة أو مجموعة لغات يتحدث بها التتار أو شعوب آسيا الداخلية

والثاني: أن تكون هناك لغة رسمية موحدة لدولة اسمها تارتاريا

ومن وجهة نظري، فإن الخلط بين هذين المعنيين أدى إلى كثير من الالتباس

فالكتب الأوروبية القديمة كانت تستخدم أحيانًا أسماء عامة للغات، كما كانت تستخدم أسماء عامة للشعوب، دون أن يعني ذلك وجود دولة موحدة

ثالثاً: أين الأبجدية؟

إذا كانت تارتاريا حضارة مستقلة، فمن الطبيعي أن أجد

أبجدية خاصة .
.قواعد للكتابة .
.نقوشًا حجرية .
.ألواحًا .
.مراسلات رسمية .
.وثائق إدارية .
بل أتوقع أن أعثر على مدارس للكتبة، كما هو الحال في مصر وبلاد الرافدين والصين
لكن حتى الآن، لا أجد نظام كتابة معروفًا ومتفقًا عليه يحمل اسم الأبجدية التارتارية بوصفها أبجدية دولة واحدة

رابعاً: أين الأرشيف؟

كل دولة كبيرة تنتج كمية هائلة من الوثائق
فعلى سبيل المثال، اكتشف علماء الآثار في نينوى آلاف الألواح
وفي مصر عُثر على برديات إدارية
وفي الصين بقيت سجلات البلاط الإمبراطوري
ومن وجهة نظري، فإن الإمبراطورية التي تمتد عبر قارة كاملة ينبغي أن تترك أرشيفًا ضخمًا، حتى لو ضاع جزء كبير منه

لكن أين هو أرشيف تارتاريا؟
أين سجلاتها الإدارية؟
أين الضرائب؟
أين إحصاءات السكان؟
أين أوامر الولاة؟

خامساً: تعدد الشعوب لا يعني وحدة اللغة

من الصحيح أن المناطق التي أطلق عليها الأوروبيون **Tartaria** اسم كانت تضم شعوبًا كثيرة، تتحدث لغات تنتمي إلى عائلات مختلفة

لكن هذا التنوع اللغوي لا يثبت وجود لغة رسمية موحدة لدولة واحدة

ومن وجهة نظري، إذا كانت هناك إمبراطورية مركزية، فمن المتوقع أن يكون لها على الأقل لغة إدارية أو لغة بلاط، كما عرفنا في الإمبراطوريات الأخرى

سادساً: هل يمكن أن تضيع اللغة كلها؟

قد تضيع بعض النصوص، أو تنقرض لغة مع مرور الزمن، وهذا أمر عرفه التاريخ

لكن اختفاء لغة إمبراطورية كاملة، مع اختفاء أبجديتها، ونقوشها، وأرشيفها، وكتبها، وتعليمها، دون أن يبقى

منها نص موثق صادر عن مؤسساتها، يطرح أسئلة تاريخية كبيرة

ومن وجهة نظري، فإن هذا لا يكفي وحده لنفي الفرضية، لكنه يجعلها بحاجة إلى أدلة أقوى من مجرد وجود اسم على خرائط أوروبية

النتيجة

معروف في عدد من **Tartaria** أخلص إلى أن اسم الخرائط والكتب الأوروبية، لكنني لم أجد حتى الآن لغة رسمية موثقة، أو نظام كتابة مستقل، أو أرشيفًا إداريًا، أو نقوشًا صادرة عن دولة تحمل هذا الاسم.

ولهذا أرى أن اللغة تمثل عنصرًا أساسيًا في تقييم أي ادعاء بوجود حضارة، ولا يمكن تجاوزها عند كتابة تاريخ أي إمبراطورية.

تمهيد للفصل الحادي والثلاثين

أعتقد أن الفصل القادم سيكون من أهم الفصول في الكتاب كله، وسيحمل عنوان

هل اكتشف علماء الآثار مدينة واحدة أعلنوا أنها عاصمة حضارة تارتاريا؟

وسنقوم فيه بتحليل أشهر المدن التي تُنسب إلى تارتاريا، مثل

.طومسك .

.توبولسك .

.قازان .

.ومدن أخرى في سيبيريا وآسيا الوسطى .

وسنقارن بين نتائج الحفريات الأثرية وبين الادعاءات المنتشرة في وسائل التواصل الاجتماعي، لنرى إن كانت الاكتشافات الأثرية تؤيد فرضية وجود حضارة موحدة باسم تارتاريا أم لا.

الفصل الحادي والثلاثون

هل اكتشف علماء الآثار مدينة واحدة أعلنوا أنها عاصمة حضارة تارتاريا؟

من وجهة نظري، فإن علم الآثار هو الفيصل في كثير من القضايا التاريخية. فالخرائط قد تختلف، والرحالة قد يخطئون، لكن الأرض تحتفظ بشواهدها

ولهذا السبب، إذا كانت تارتاريا حضارة عظيمة كما يقال، فمن الطبيعي أن تكون قد تركت مدينة رئيسية تمثل قلبها السياسي والإداري

وهنا أطرح السؤال

هل أعلن أي فريق أثري في العالم اكتشاف مدينة قال إنها عاصمة حضارة تارتاريا؟

أولاً: ماذا نتوقع من العاصمة؟

العاصمة ليست مدينة عادية

بل ينبغي أن نجد فيها

.القصر الملكي .

.دواوين الإدارة .

.الخزانة .

.المعابد أو المؤسسات الدينية الكبرى .

.الأرشيف الحكومي .

.دار سك العملة .

.أحياء كبار الموظفين .

ومن وجهة نظري، فإن وجود هذه العناصر معًا هو ما .يميز العاصمة عن بقية المدن

ثانياً: المدن التي يكثر ذكرها

كثيرًا ما تتكرر أسماء مثل

.طومسك .

.توبولسك .

قازان .
وبعض مدن سيبيريا وآسيا الوسطى .
ويُقال إنها كانت عواصم تارتاريا
لكن عندما أراجع تاريخ هذه المدن، أجد أن لكل واحدة منها تاريخًا معروفًا، يرتبط بخانات، أو بالإمبراطورية الروسية، أو بكيانات سياسية محلية
ولا أجد إجماعًا أثريًا أو أكاديميًا يصف أيًا منها بأنها عاصمة إمبراطورية تارتاريا

ثالثاً: ماذا تقول الحفريات؟

من وجهة نظري، لو كانت هناك عاصمة لإمبراطورية امتدت عبر ملايين الكيلومترات، فمن المتوقع أن تكشف الحفريات عن
قصور إمبراطورية ضخمة .
نقوش تحمل اسم الدولة .
أختام رسمية.
أرشيف إداري .
عملات إمبراطورية.
مراسيم حكومية .
لكن حتى الآن، لا أجد اكتشافًا أثريًا يجمع هذه العناصر تحت اسم تارتاريا

رابعاً: هل كل مدينة قديمة تعود إلى تارتاريا؟

لقد لاحظت أن بعض المقاطع على الإنترنت تنسب أي مدينة قديمة أو مبنى ضخم في شمال آسيا إلى تارتاريا

ومن وجهة نظري، فإن هذا تعميم غير منهجي

فالمدينة يجب أن تُنسب إلى حضارة معينة بناءً على الطبقات الأثرية .

اللقى المكتشفة .

النقوش .

التأريخ بالكربون المشع عند الحاجة .

المقارنة مع المواقع المجاورة .

ولا يكفي التشابه المعماري أو الموقع الجغرافي وحده

خامساً: ماذا لو ظهرت اكتشافات جديدة؟

التاريخ علم يتطور باستمرار

وقد تكشف الحفريات المستقبلية عن معلومات جديدة تغير فهمنا لبعض المناطق

ومن وجهة نظري، فإن الباحث الحقيقي يجب أن يبقى منفتحًا على الأدلة الجديدة

لكن حتى ظهور تلك الأدلة، ينبغي أن يبنى الحكم على ما هو متاح من وثائق وآثار، لا على الافتراضات

النتيجة

أخلص إلى أن علم الآثار لم يقدم حتى الآن مدينة أعلن الباحثون أنها العاصمة المؤكدة لإمبراطورية تحمل اسم **تارتاريا**

وهذا لا يمنع وجود مدن تاريخية مهمة داخل المناطق لكنه لا يكفي **Tartaria** التي سماها الأوروبيون لإثبات وجود دولة مركزية موحدة بهذا الاسم

تمهيد للفصل الثاني والثلاثين

هل كانت تارتاريا تمتلك علمًا وشعارًا رسميًا؟

وسنبحث في

.الأعلام المنسوبة إلى تارتاريا .

.الشعارات الإمبراطورية .

.الأختام الرسمية .

الرسومات الأوروبية التي يُقال إنها تمثل راية .
.تارتاريا

وسنحلل أصل كل صورة، ومصدرها، ومدى صلاحيتها .بوصفها دليلًا تاريخيًا

الفصل الثاني والثلاثون

هل كان لتارتاريا علم رسمي؟

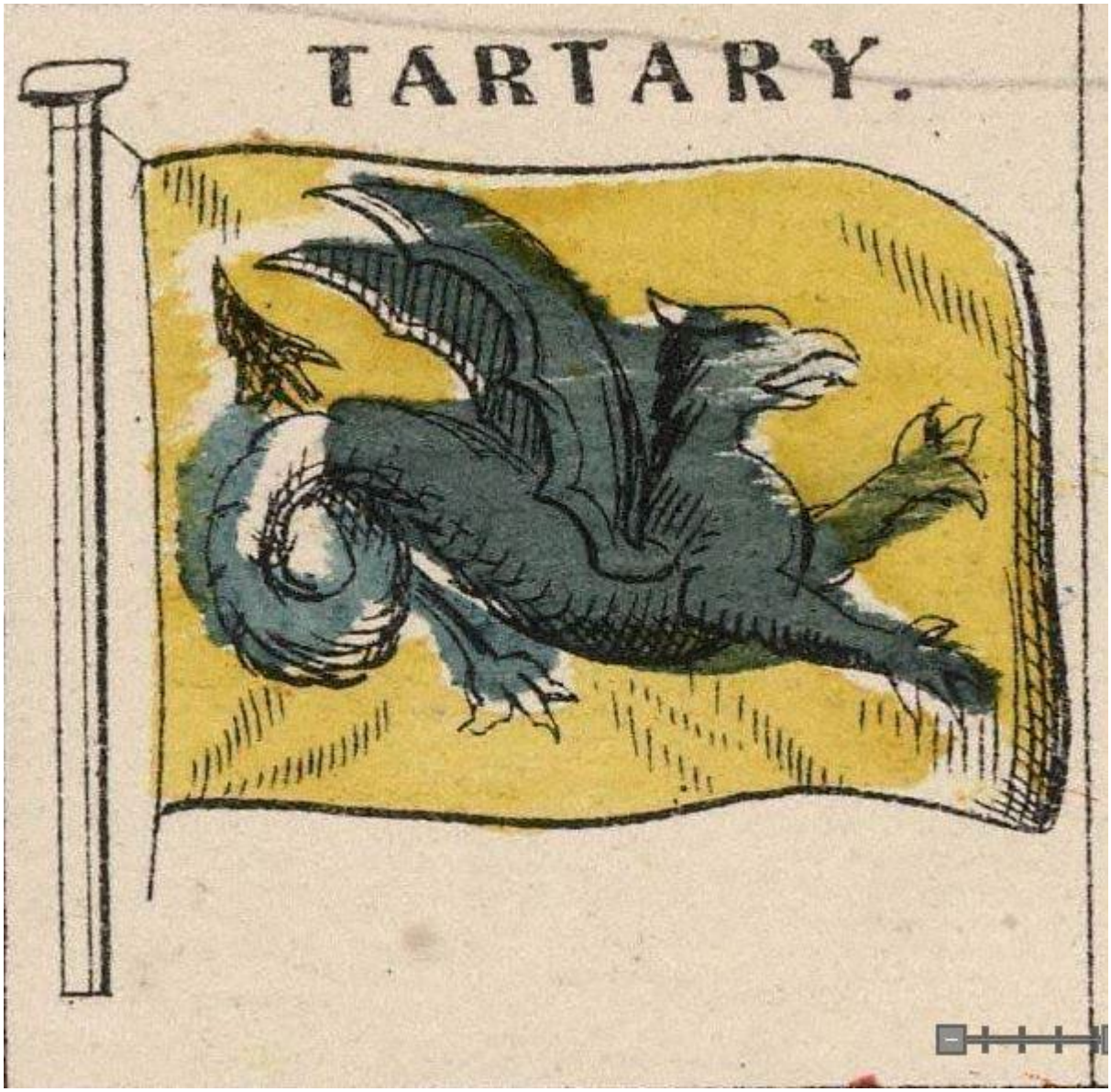

FLAGS OF ALL NATIO
I T E D S T A T E
PENDANT.
NATIONAL.
COMMODORE.
MEXICO.
U.S.or COLOMBIA.
JAPAN.
CHINA.
TARTARY.
COCHIN CHINA
MOROCCO.
PIRATES.
TRIPOLI.
HAYTI.

من وجهة نظري، فإن وجود علم لدولة قد يكون دليلًا مهمًا، لكنه **ليس دليلًا كافيًا وحده**. فالأعلام تُرسم في كتب الملاحة، وكتب الأعلام، والأطالس، وأحيانًا ينقل المؤلفون بعضهم عن بعض دون تحقق مباشر

ولهذا السبب، فإن أول سؤال أطرحه ليس

هل يوجد علم لتارتاريا؟

بل

ما هو المصدر الأول الذي رسم هذا العلم؟

أولاً: ما هي أشهر الأعلام المنسوبة إلى تارتاريا؟

يتداول مؤيدو النظرية عدة صور، أشهرها

علم أصفر يتوسطه تنين أسود .

أعلام نُسبت إلى "الإمبراطور التتاري .

رسوم ظهرت في كتب أوروبية عن أعلام دول العالم .

وهنا تبدأ مهمة المؤرخ

ثانياً: هل الأعلام دليل على وجود دولة؟

من وجهة نظري، ليس بالضرورة

فالكتب الأوروبية في القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت تجمع أعلامًا لشعوب، ومدن، وشركات بحرية، وخانات، وأحيانًا أعلامًا منقولة من روايات الرحالة

ولذلك لا يكفي أن أجد رسمًا لعلم حتى أستنتج وجود إمبراطورية كاملة

بل يجب أن أسأل

من رسم هذا العلم؟ .

متى؟ .

ومن أين حصل على معلوماته؟ .
وهل يوجد أكثر من مصدر مستقل يؤكد الرسم نفسه؟ .

ثالثاً: هل استُخدم العلم داخل تارتاريا؟

إذا كان العلم رسميًا، فمن الطبيعي أن أجده في
الحصون. .
القصور. .
العملات. .
الأختام. .
اللوحات الرسمية. .
الوثائق الحكومية. .

لكن من وجهة نظري، فإن معظم الصور المتداولة تأتي من كتب أوروبية، لا من آثار اكتُشفت داخل المناطق التي سُميت تارتاريا

وهذا فرق مهم

فالكتاب الأوروبي يثبت أن الأوروبيين كانوا يعتقدون أن هناك علمًا معينًا، لكنه لا يثبت وحده أن هذا العلم كان مستخدمًا فعلًا من قبل حكومة مركزية

رابعاً: ماذا عن التنين؟

كثيرًا ما يُستشهد بصورة العلم الأصفر الذي يحمل تنينًا أسود

لكن وجود التنين في حد ذاته لا يثبت شيئًا

فالتنين رمز استُخدم في ثقافات متعددة، منها

الصين .

منغوليا .

آسيا الوسطى .

أوروبا في بعض الشعارات النبيلة .

ومن وجهة نظري، فإن الرمز وحده لا يكفي لنسب علم إلى حضارة معينة، ما لم يرافقه دليل وثائقي يربطه بدولة محددة

خامساً: هل يوجد وصف رسمي للعلم؟

إذا كانت تارتاريا دولة، فمن الطبيعي أن أجد

مرسومًا يحدد شكل العلم .

وصفًا رسميًا لألوانه .

تعليمات باستخدامه في الجيش أو الأسطول .

إشارات إليه في المراسلات الحكومية .

لكن حتى الآن، لا أجد مثل هذه الوثائق المرتبطة بدولة تحمل اسم تارتاريا

سادساً: كيف يجب أن نتعامل مع هذه الأعلام؟

من وجهة نظري، فإن الأعلام المنسوبة إلى تارتاريا تمثل **أدلة تاريخية تستحق الدراسة**، لكنها لا ينبغي أن تُعامل بوصفها دليلًا نهائيًا

فهي تثبت أن بعض المؤلفين الأوروبيين رسموا أعلامًا ونسبوها إلى "تارتاريا"، لكنها لا تجيب وحدها عن الأسئلة الأساسية

من رفع هذا العلم؟ .

وأين؟ .

ومتى؟ .

وبأي سلطة؟ .

النتيجة

في **Tartaria** أخلص إلى أن وجود أعلام منسوبة إلى بعض الكتب الأوروبية يمثل شاهدًا على وجود هذا الاسم في المخيلة الجغرافية والسياسية الأوروبية، لكنه لا يكفي وحده لإثبات وجود إمبراطورية موحدة تحمل هذا الاسم

ومن وجهة نظري، فإن قيمة هذه الأعلام لا تُفهم إلا إذا قورنت بالمصادر الأخرى، مثل المعاهدات، والعملات، والنقوش، والوثائق الإدارية

تمهيد للفصل الثالث والثلاثين

هل كانت تارتاريا تملك جيشًا إمبراطوريًا؟

وسنناقش فيه

- هل يوجد سجل عسكري باسم "جيش تارتاريا"؟ .
- هل عُرف قادة عسكريون يحملون هذا اللقب؟ .
- هل خاضت "تارتاريا" معارك موثقة بوصفها دولة واحدة؟ .
- وهل تذكر المصادر المعاصرة جيشًا موحدًا، أم أنها تتحدث عن جيوش خانات وقبائل متعددة؟ .

هل كانت **تارتاريا دولة حقيقية، أم مصطلحًا جغرافيًا واسعًا استخدمه الأوروبيون؟**

الفصل الثالث والثلاثون

هل امتلكت تارتاريا جيشًا إمبراطوريًا؟

من وجهة نظري، لا توجد إمبراطورية في التاريخ قامت دون جيش منظم

فالجيش هو الذي يحمي الحدود، ويجمع الضرائب، ويقمع التمردات، ويخوض الحروب، ويوسع النفوذ

ولهذا السبب، عندما أبحث عن أي دولة، فإنني أبحث مباشرة عن تاريخها العسكري
وأطرح السؤال التالي
أين جيش تارتاريا؟

أولاً: ماذا نتوقع من جيش إمبراطوري؟
إذا كانت تارتاريا إمبراطورية امتدت من أوروبا الشرقية إلى المحيط الهادئ، فمن الطبيعي أن نجد
.قائداً أعلى للجيش .
.وزراء للحرب .
.فرقًا عسكرية .
.رتبًا عسكرية .
.حصونًا .
.مدارس عسكرية .
.سجلات للتجنيد .
.مصانع للأسلحة .
ومن وجهة نظري، لا يمكن لإمبراطورية بهذا الحجم أن تُدار بقبائل متنقلة فقط

ثانياً: أين أسماء القادة؟

عندما أدرس الإمبراطورية الرومانية أجد أسماء القادة العسكريين
وعندما أدرس الدولة العثمانية أجد الصدور العظام وقادة الجيوش
وعندما أدرس المغول أجد
سوبوتاي .
جيبي .
وغيرهما من كبار القادة .
أما إذا سألت:
من هو القائد العام لجيش تارتاريا؟
فلا أجد جوابًا متفقًا عليه
ومن وجهة نظري، فإن هذه ثغرة كبيرة

ثالثاً: أين المعارك؟
الإمبراطوريات لا تعيش في سلام دائم
بل تخوض
حروب توسع .
حروب دفاع .
حصارات .
معارك بحرية .

.تمردات داخلية .

:ولهذا أسأل

ما هي أشهر معركة خاضها جيش تارتاريا باسم دولة تارتاريا؟

لا أقصد معارك المغول

ولا معارك روسيا

ولا معارك الصين

بل معركة خاضها جيش يحمل رسميًا اسم

جيش تارتاريا

ومن وجهة نظري، فإنني لا أجد مثل هذا السجل العسكري

رابعاً: ماذا عن الأسلحة؟

الحضارات الكبرى تترك

.مصانع أسلحة .

.مستودعات .

.ورشًا للحدادة .

.مدافع .

.سفنًا حربية .

.ذخائر .

بل وحتى عند اكتشاف المواقع الأثرية نجد آلاف القطع العسكرية

لكن أين الترسانة العسكرية المنسوبة إلى دولة اسمها تارتاريا؟

خامساً: هل خلط الأوروبيون بين الجيوش؟

من وجهة نظري، نعم

Tartars فالرحالة الأوروبيون كثيرًا ما استخدموا كلمة للإشارة إلى جماعات متعددة من آسيا الداخلية

وقد يكون الجيش الذي شاهدوه تابعًا لخانٍ مغولي، أو لخانية محلية، أو لدولة أخرى، ثم استُخدم المصطلح الأوروبي العام لوصفه

وهنا يجب التمييز بين

جيش شعب من شعوب آسيا الداخلية

وبين

جيش دولة رسمية اسمها تارتاريا

وهذا التمييز ضروري

سادساً: هل توجد سجلات للتجنيد؟

كل دولة كبيرة تحتاج إلى

. تجنيد.
. رواتب.
. مؤن.
. إمداد.
. طرق عسكرية.
. مخازن.

ولو كانت تارتاريا إمبراطورية حقيقية، فمن الطبيعي أن تترك آثارًا إدارية لهذا النظام

لكن حتى الآن، لا أجد سجلات موثقة تشير إلى مؤسسة عسكرية تحمل هذا الاسم

سابعاً: مقارنة بالمغول

من وجهة نظري، من السهل أن أقارن الإمبراطورية المغولية تركت

. أسماء القادة.
. أسماء الحملات.
. وصف التكتيكات.
. سجلات صينية.
. سجلات بارثية.
. سجلات عربية.

سجلات روسية .

سجلات أوروبية .

أما إذا كانت تارتاريا أعظم منها، فمن المتوقع أن يكون سجلها العسكري أوضح، لا أقل وضوحًا

النتيجة

أخلص إلى أن المصادر التاريخية المعروفة لا تقدم حتى الآن وصفًا لجيش إمبراطوري موحد يحمل اسم **جيش تارتاريا**، ولا تسلسلًا واضحًا لقادته أو معاركه أو مؤسساته العسكرية

ومن وجهة نظري، فإن ما نجده في المصادر هو جيوش متعددة تابعة لخانات، وممالك، وقبائل، ودول مختلفة في آسيا الداخلية، بينما استخدم بعض الجغرافيين الأوروبيين بوصفه وصفًا جغرافيًا واسعًا لتلك **Tartaria** مصطلح المناطق

تمهيد للفصل الرابع والثلاثين

إذا كانت تارتاريا أعظم إمبراطورية في العالم، فلماذا لم يذكرها المؤرخون المسلمون؟

وسنبحث في مؤلفات

الطبري .

.المسعودي .
.ابن الأثير .
.ياقوت الحموي .
.ابن بطوطة .
.رشيد الدين الهمذاني .

وسنقارن بين ما كتبوه عن المغول، والتتار، وآسيا الوسطى، وبين غياب الحديث عن دولة رسمية تحمل اسم **تارتاريا**. وهذا الفصل سيكون مهمًا لأنه يضيف منظورًا من خارج المصادر الأوروبية

الفصل الرابع والثلاثون

لماذا لم يذكر المؤرخون المسلمون إمبراطورية اسمها تارتاريا؟

من وجهة نظري، فإن المؤرخ لا يكتفي بمصدر واحد، بل يقارن بين المصادر القادمة من حضارات مختلفة

ولهذا السبب، رأيت أنه من الضروري أن أطرح السؤال التالي

إذا كانت تارتاريا أعظم إمبراطورية في آسيا، فلماذا لا نجد في المصادر الإسلامية وصفًا واضحًا لدولة تحمل هذا الاسم؟

أولاً: المؤرخون المسلمون كانوا قريبين من آسيا الوسطى

خلافًا لكثير من الجغرافيين الأوروبيين في العصور الوسطى، كان عدد من المؤرخين المسلمين يعيشون في مناطق قريبة من آسيا الوسطى، أو يعتمدون على روايات مباشرة من التجار، والرحالة، والدبلوماسيين

ولذلك فإن شهاداتهم ذات قيمة كبيرة

ثانياً: الطبري

تناول الطبري أخبار الشعوب والدول التي كانت معروفة في عصره، وذكر الترك، والبارثيين، والروم، وغيرهم

لكنني لا أجد في تاريخه وصفًا لدولة رسمية تحمل اسم **تارتاريا**

ثالثاً: المسعودي

كان المسعودي من أكثر الجغرافيين والمؤرخين المسلمين اهتمامًا بالشعوب والأقاليم

وقد وصف مناطق واسعة من العالم المعروف في عصره

لكنه لم يصف إمبراطورية تحمل الاسم الرسمي تارتاريا

رابعاً: ابن الأثير

تُعد كتابات ابن الأثير من أهم المصادر عن الغزو المغولي

وقد وصف دخول المغول، وحروبهم، وأثرهم في العالم الإسلامي

لكنه يتحدث عن **المغول**، أو **التتار** في السياق التاريخي المعروف، ولا يقدم وصفًا لكيان سياسي رسمي اسمه إمبراطورية تارتاريا

خامساً: رشيد الدين الهمذاني

من وجهة نظري، هذا من أهم الشهود في القضية

فقد عاش في الدولة الإيلخانية، وكتب كتابه الشهير **جامع التواريخ**، الذي يُعد من أهم المصادر عن المغول وأنسابهم وتوسعهم

ولو كانت هناك دولة مستقلة تحمل اسم "تارتاريا"، لكان من الطبيعي أن يرد لها ذكر واضح في عمل بهذا الحجم

لكن المعروف أن كتابه يركز على المغول، والخانات، وفروع الأسرة الحاكمة، أكثر من تركيزه على كيان سياسي يحمل هذا الاسم

سادساً: ابن بطوطة

زار ابن بطوطة مناطق واسعة من آسيا، وقدم وصفًا للمدن، والأسواق، والحكام، والعادات

وقد التقى بسلاطين وأمراء في أنحاء مختلفة

لكن رحلته لا تقدم وصفًا لإمبراطورية موحدة باسم تارتاريا

سابعاً: ماذا تعني كلمة التتار في المصادر الإسلامية؟

من المهم التمييز بين

التتار بوصفها تسمية استُخدمت في كثير من المصادر الإسلامية للدلالة على جماعات أو جيوش ارتبطت بالغزو المغولي أو بقبائل من السهوب

وبين

تارتاريا بوصفها اسمًا جغرافيًا ظهر في عدد من الخرائط والكتب الأوروبية

ومن وجهة نظري، فإن الخلط بين المصطلحين أدى إلى إسقاطات تاريخية لا تدعمها المصادر بصورة مباشرة

ثامناً: هل يُعد غياب الاسم دليلًا قاطعًا؟

لا

ومن وجهة نظري، فإن غياب اسم معين في مصدر ما لا يكفي وحده لنفي وجوده

لكن عندما يجتمع
غياب التسلسل السياسي .
وغياب العاصمة .
وغياب النقوش .
وغياب المعاهدات .
وغياب اللغة الرسمية .
ثم غياب الذكر الواضح في عدد كبير من المصادر . الإسلامية القريبة من الأحداث،
فإن هذا التراكم من الملاحظات يصبح عنصرًا مهمًا في تقييم الفرضية

النتيجة

أخلص إلى أن المصادر الإسلامية تمثل شاهدًا مهمًا على تاريخ آسيا الوسطى والمغول والتتار، لكنها لا تقدم - في حدود ما ناقشناه - وصفًا واضحًا لدولة رسمية تحمل اسم **تارتاريا** كما تُصوَّر في بعض الطروحات الحديثة

ومن وجهة نظري، فإن هذا لا ينفي استخدام الأوروبيين لكنه يدعو إلى التمييز بين **Tartaria** لمصطلح **المصطلح الجغرافي الأوروبي** وبين **الكيانات السياسية التي وصفتها المصادر الإسلامية بأسمائها المختلفة**

تمهيد للفصل الخامس والثلاثين

هل تارتاريا اختراع حديث؟

في هذا الفصل سنبحث

متى ظهرت فكرة حضارة تارتاريا المفقودة بصيغتها الحالية؟

هل نجدها في كتب القرن التاسع عشر؟

أم أنها انتشرت أساسًا مع الإنترنت ومنصات الفيديو في القرن الحادي والعشرين؟

وهذا الفصل سيكون مفتاحًا لفهم الفرق بين **الاسم** الموجود في الخرائط القديمة، **"Tartaria" التاريخي** وبين **النظرية الحديثة** التي أعادت تفسير ذلك الاسم على أنه حضارة عالمية مفقودة

الفصل الخامس والثلاثون

هل تارتاريا اختراع حديث؟

من وجهة نظري، يجب أن أميز منذ البداية بين أمرين مختلفين تمامًا

الأول: وجود اسم **Tartaria** في الخرائط والكتب الأوروبية منذ القرن السادس عشر والسابع عشر

الثاني: ظهور نظرية تقول إن تارتاريا كانت حضارة عالمية متقدمة أُخفي تاريخها عمدًا

فالخلط بين هذين الأمرين هو أصل كثير من سوء الفهم

أولاً: الاسم قديم... لكن هل النظرية قديمة؟

Tartaria عندما أراجع الخرائط القديمة، أجد أن اسم كان مستخدمًا فعلًا

لكن عندما أراجع المؤلفات التاريخية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لا أجد حديثًا واسعًا عن حضارة عالمية مفقودة بهذا المعنى المتداول اليوم

لقد كان المؤرخون يناقشون

.المغول .

.التتار .

.خانات آسيا الوسطى .

.سيبيريا .

لكنهم لم يبنوا نظرية متكاملة تقول إن هناك حضارة فائقة التقنية حُذفت من التاريخ

ومن وجهة نظري، فإن هذه ملاحظة تستحق الانتباه

ثانياً: متى بدأ التفسير الجديد؟

من وجهة نظري، فإن الانتشار الكبير لفكرة حضارة تارتاريا يعود إلى العصر الرقمي

فمع انتشار

.المنتديات الإلكترونية .
.منصات مشاركة الفيديو .
.وسائل التواصل الاجتماعي .
بدأت تظهر مقاطع تربط بين
.الخرائط القديمة .
.العمارة الكلاسيكية .
.المعارض العالمية .
.صور المدن القديمة .
فكرة الطاقة الحرة .
ونظرية إعادة كتابة التاريخ .
ثم جُمعت هذه العناصر في رواية واحدة
ومن وجهة نظري، فإن هذا يمثل تطورًا حديثًا في تفسير الاسم، وليس استمرارًا مباشرًا لما كان يقوله الجغرافيون في القرون السابقة

ثالثاً: لماذا انتشرت الفكرة؟

أعتقد أن هناك عدة أسباب ساعدت على انتشارها

سهولة الوصول إلى الخرائط القديمة

اليوم يستطيع أي شخص تحميل آلاف الخرائط من المكتبات الرقمية

وهذا أمر إيجابي
لكن المشكلة تبدأ عندما تُقرأ الخريطة دون معرفة سياقها التاريخي

قوة الصورة

الصورة تؤثر أكثر من النص
فعندما يشاهد الإنسان مبنى ضخمًا أو خريطة قديمة كُتب عليها **Tartaria** قد يشعر أن أمامه دليلًا قاطعًا
لكن المؤرخ يعلم أن الصورة تحتاج إلى تفسير، تمامًا كما يحتاج النص إلى تفسير

دمج موضوعات مختلفة

من وجهة نظري، أحد أسباب قوة النظرية أنها لا تعتمد على دليل واحد
بل تجمع بين
.الخرائط .
.العمارة .
.(Mud Flood) الطين العظيم .
.الطاقة الحرة .
.المؤامرات السياسية .

.المعارض العالمية .
ثم تقدمها وكأنها أجزاء من قصة واحدة
لكن جمع الأدلة المختلفة لا يعني بالضرورة أنها تشير إلى السبب نفسه

رابعاً: هل هذا يعني أن كل ما يقال عنها خطأ؟
لا
ومن وجهة نظري، فإن هذا سيكون استنتاجًا غير علمي
فالنظرية تثير أسئلة حقيقية تستحق البحث، مثل
لماذا استخدم الأوروبيون اسم
Tartaria؟
لماذا تغيرت أسماء الأقاليم؟
كيف تطورت الخرائط؟
ما سبب انتشار العمارة
الكلاسيكية الجديدة؟
لكن إثارة السؤال شيء، والإجابة عنه شيء آخر

خامساً: الفرق بين السؤال والدليل
من وجهة نظري، يجب أن أفرق دائمًا بين
السؤال

لماذا حدث هذا؟

وبين

الإجابة

إذن السبب هو حضارة تارتاريا

إن الانتقال من السؤال إلى النتيجة يحتاج إلى سلسلة من الأدلة المترابطة

ولا يكفي وجود فراغ في المعرفة حتى أملأه بأي تفسير

النتيجة

نفسه ليس اختراعًا **Tartaria** أخلص إلى أن اسم حديثًا، بل هو مصطلح تاريخي موثق في الخرائط والكتب الأوروبية

أما النظرية التي تصور **تارتاريا** بوصفها حضارة عالمية متقدمة أُزيلت من التاريخ، فهي تفسير حديث للاسم القديم، وتحتاج إلى أن تُقيَّم بالأدلة التاريخية والأثرية والوثائقية، لا بمجرد وجود الاسم في الخرائط

ومن وجهة نظري، فإن التمييز بين **المصطلح التاريخي** و**التفسير الحديث** هو المفتاح لفهم القضية كلها

تمهيد للفصل السادس والثلاثين

ماذا بقي من أدلة تارتاريا بعد الفحص العلمي؟

وفيه سأضع جدولًا شاملًا يضم جميع الأدلة التي ناقشناها منذ بداية الكتاب

.الخرائط .

.الأعلام .

.العمارة .

.الرحلات .

.النقوش .

.العملات .

.اللغة .

.الجيش .

.الملوك .

.العاصمة .

.المعاهدات .

.المصادر الإسلامية .

ثم سأقيّم كل دليل وفق منهج تاريخي واحد، مبينًا

ما الذي يثبته بالفعل .

وما الذي لا يستطيع إثباته وحده .

وما هي الأسئلة التي ما زالت مفتوحة للبحث .

الفصل السادس والثلاثون

المحكمة التاريخية: ماذا بقي من أدلة تارتاريا بعد الفحص العلمي؟

من وجهة نظري، فإن الباحث الحقيقي لا يبدأ بالنتيجة، بل يبدأ بالأدلة

ولهذا السبب، وبعد أن ناقشت في الفصول السابقة الخرائط، والرحلات، والوثائق، والآثار، واللغة، والعمارة، رأيت أن أجمعها كلها في مكان واحد، ثم أطرح سؤالًا بسيطًا

ماذا يثبت كل دليل؟

و

ما الذي لا يستطيع إثباته؟

إن هذا الفصل لا يهدف إلى الانتصار لرأي معين، بل إلى تصنيف الأدلة بحسب قوتها التاريخية

أولاً: الخرائط القديمة

ماذا تثبت؟

- كان مستخدمًا في الجغرافيا **Tartaria** أن اسم الأوروبية.
- أن الأوروبيين كانوا يطلقون هذا الاسم على مناطق واسعة من آسيا.
- أن المصطلح استمر في الاستخدام عدة قرون.

ماذا لا تثبت؟

.وجود دولة موحدة .

.وجود إمبراطور .

.وجود حكومة مركزية .

.وجود حدود سياسية ثابتة .

ومن وجهة نظري، فإن الخرائط تثبت وجود الاسم، لكنها لا تكفي وحدها لإثبات طبيعة الكيان الذي يشير إليه هذا الاسم

ثانياً: الرحالة

ماذا يثبتون؟

أنهم شاهدوا شعوبًا كثيرة في آسيا .

أنهم وصفوا المغول والخانات والقبائل .

أنهم سجلوا أوصافًا قيمة للمجتمعات التي زاروها .

ماذا لا يثبتون؟

وجود إمبراطورية رسمية باسم تارتاريا .

وجود حكومة مركزية بهذا الاسم .

ثالثاً: العمارة

ماذا تثبت؟

وجود مبانٍ ضخمة .
انتشار الطراز الكلاسيكي الجديد .
ازدهار الهندسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ماذا لا تثبت؟

أن هذه المباني تعود إلى حضارة مجهولة .
أن جميعها بُنيت قبل التاريخ المعروف .
أنها من إنشاء دولة اسمها تارتاريا .

رابعاً: اللغة

ماذا تثبت؟

أن الأوروبيين استخدموا مصطلحات مثل التتر والتترية في بعض السياقات .

ماذا لا تثبت؟

وجود لغة رسمية موحدة لدولة اسمها تارتاريا .
وجود أبجدية مستقلة .
وجود أرشيف حكومي بهذه اللغة .

خامساً: النقوش

ماذا وجدنا؟

لم أجد حتى الآن
نقشًا يقول .
ملك تارتاريا
أو
إمبراطور تارتاريا
أو
شُيد هذا القصر في عهد تارتاريا
ومن وجهة نظري، فإن غياب النقوش الرسمية يمثل نقطة جوهرية في تقييم الفرضية

سادساً: العملات

لم أجد
سلسلة نقدية رسمية .
أسماء ملوك .
دور سك عملة تحمل اسم الدولة .
ولو كانت تارتاريا إمبراطورية كبرى، فمن المتوقع أن تترك نظامًا نقديًا واضحًا

سابعاً: المعاهدات

لم أعثر على

معاهدة سلام .
اتفاقية تجارية .
مراسلات دبلوماسية .
كلها تحمل اسم دولة رسمية تسمى
إمبراطورية تارتاريا

ثامناً: الجيش

لم أجد
قائدًا عامًا معروفًا .
سجلات تجنيد .
تنظيمًا عسكريًا يحمل هذا الاسم .
معارك موثقة خاضها جيش يسمى رسميًا جيش تارتاريا .

تاسعاً: العاصمة

لم أجد مدينة يتفق الباحثون على أنها
عاصمة إمبراطورية تارتاريا
بل وجدت مدنًا تاريخية مهمة، لكنها ترتبط بكيانات سياسية معروفة، لا بدولة تحمل هذا الاسم

عاشراً: الملوك

لم أجد

سلسلة ملوك .

تواريخ حكم .

أنساب ملكية .

قصور ملكية موثقة .

وهو ما أراه عنصرًا أساسيًا في دراسة أي دولة

الحادي عشر: المصادر الإسلامية

وجدت وصفًا

للمغول .

للتتار .

للخانات .

لآسيا الوسطى .

لكنني لم أجد وصفًا واضحًا لدولة رسمية تحمل اسم **تارتاريا**

خلاصة المحكمة التاريخية

بعد دراسة جميع الأدلة، أصل إلى النتيجة التالية

الأدلة التي تثبتها المصادر

✓ في عدد كبير من الخرائط **Tartaria** وجود اسم والكتب الأوروبية

✓ استخدام الأوروبيين لهذا المصطلح لوصف مناطق واسعة من آسيا

✓ استمرار هذا الاستخدام عدة قرون قبل أن يتراجع مع تطور المعرفة الجغرافية

الأدلة التي لم أجدها بصورة مباشرة

عاصمة موثقة .

سلسلة ملوك .

حكومة مركزية .

لغة رسمية .

أبجدية مستقلة .

نقوش رسمية .

عملات تحمل اسم الدولة .

معاهدات دبلوماسية .

جيش موحد .

أرشيف إداري .

النتيجة النهائية لهذا الفصل

حقيقة تاريخية **Tartaria** من وجهة نظري، فإن اسم موثقة في الخرائط الأوروبية، ولا يجوز إنكار ذلك.

لكن تحويل هذا الاسم إلى **إمبراطورية عالمية متقدمة** يحتاج إلى مجموعة من الأدلة الأثرية والوثائقية التي لم أتمكن، حتى الآن، من العثور عليها بالصورة التي تسمح بإثبات هذا الادعاء وفق المنهج التاريخي

ولهذا، فإنني أرى أن الباحث يجب أن يميز بين **وجود الاسم**، وهو أمر تؤيده المصادر، وبين **تفسير هذا الاسم على أنه حضارة عالمية مفقودة**، وهو تفسير يحتاج إلى أدلة إضافية تتجاوز الخرائط وحدها

الفصل السابع والثلاثون: المنهج العلمي في دراسة تارتاريا

من وجهة نظري، فإن أخطر ما يمكن أن يقع فيه الباحث هو أن يبدأ بالنتيجة، ثم يبحث بعد ذلك عن الأدلة التي تؤيدها

فالمنهج العلمي يسير في الاتجاه المعاكس

إنه يبدأ بالسؤال

ثم يجمع الأدلة

ثم يقارن بينها

ثم يختبرها

ثم يصل إلى النتيجة
وقد تكون هذه النتيجة مخالفة لما كان يتوقعه الباحث منذ البداية
ولهذا السبب، حرصت في هذا الكتاب على أن يكون السؤال أهم من الجواب

أولاً: لا يوجد دليل معصوم
من وجهة نظري، فإن أي وثيقة تاريخية، مهما كانت شهرتها، لا يجوز التعامل معها وحدها
فالخريطة ليست معصومة
والرحالة قد يخطئ
والمؤرخ قد يتحيز
والناسخ قد يبدل كلمة
والترجمة قد تغير المعنى
ولهذا لا أبني نتيجة على دليل منفرد

ثانياً: الأدلة تتكامل
أعتبر أن كل نوع من الأدلة يجيب عن سؤال مختلف
فالخريطة تجيب عن سؤال
كيف تصور الجغرافي المنطقة؟

أما النقش فيجيب عن سؤال

كيف عرف أصحاب الحضارة أنفسهم؟

والعملة تجيب عن سؤال

من كان الحاكم؟

والمعاهدة تجيب عن سؤال

مع من كانت الدولة تتعامل؟

والحفريات تجيب عن سؤال

ماذا بقي في الأرض؟

ومن وجهة نظري، فإن الحقيقة التاريخية تظهر عندما تتوافق هذه الأدلة، لا عندما يعتمد الباحث على نوع واحد منها

ثالثاً: الفرق بين الاحتمال والحقيقة

كثيرًا ما أقرأ العبارة التالية

ربما كان الأمر كذلك

ومن وجهة نظري، فإن كلمة "ربما" ليست دليلًا

بل هي بداية للبحث

فقد يكون الاحتمال صحيحًا

وقد يكون خاطئًا

ولا يتحول الاحتمال إلى حقيقة إلا إذا دعمته الأدلة المستقلة

رابعاً: ماذا أفعل عندما أجد فراغًا؟

التاريخ مليء بالفراغات

هناك مدن لم تُكتشف

ونقوش لم تُقرأ

ومخطوطات ضاعت

.لكنني لا أملأ هذا الفراغ بالخيال

بل أقول بكل وضوح

لا نعلم حتى الآن

ومن وجهة نظري، فإن عبارة

لا أعلم

أشرف علميًا من اختراع جواب لا يسانده دليل

خامساً: هل يمكن أن يتغير هذا الكتاب؟

أجيب

نعم

إذا اكتُشفت غدًا

مدينة تحمل اسم تارتاريا .

أرشيف حكومي .
سلسلة عملات .
نقوش ملكية .
معاهدات أصلية .
فإن من واجبي كباحث أن أعيد النظر في استنتاجاتي
لأن التاريخ ليس عقيدة جامدة
بل علم يتطور مع ظهور الأدلة

سادساً: ما هو واجب القارئ؟
لا أطلب من القارئ أن يوافقني
ولا أطلب منه أن يخالفني
بل أطلب منه شيئًا واحدًا
أن يقرأ المصادر بنفسه
فمن حق كل قارئ أن يراجع الخرائط
ويقرأ الرحلات
ويفحص الوثائق
ثم يصدر حكمه بنفس

سابعاً: لماذا كتبت هذا الكتاب؟

من وجهة نظري، لم أكتب هذا الكتاب لإثبات أن كل ما يقال عن تارتاريا صحيح

ولم أكتبه لإثبات أن كل ما يقال عنها خطأ

بل كتبته لأنني رأيت أن الموضوع يستحق دراسة هادئة، تعتمد على الوثائق، لا على الانفعال

وأردت أن أفرق بين

الاسم التاريخي

والأسطورة

الحديثة

وبين

الوثيقة .

والتفسير .

وبين

السؤال .

والنتيجة .

النتيجة النهائية

أخلص إلى أن الباحث لا ينبغي أن يكون محاميًا عن فكرة، بل قاضيًا بين الأدلة

فقد تقودني الوثائق إلى تأييد فرضية، وقد تقودني إلى رفضها، وقد تتركني أمام أسئلة لم يُجب عنها بعد

ومن وجهة نظري، فإن هذه هي قيمة المنهج التاريخي؛ فهو لا يبحث عن الانتصار لرأي، بل عن أقرب تفسير تدعمه الأدلة المتاحة

الخاتمة العامة

بعد رحلة امتدت عبر الخرائط الأوروبية، والرحلات، والنقوش، والعملات، واللغات، والعمارة، والمصادر الإسلامية، والوثائق الدبلوماسية، أصل إلى نتيجة أراها أكثر اتزانًا

إن اسم **Tartaria** حقيقة تاريخية موثقة في عدد كبير من الخرائط والكتب الأوروبية، ولا يصح إنكار وجوده أو الادعاء بأنه اختُلق في العصر الحديث

لكن وجود الاسم وحده لا يكفي لإثبات وجود إمبراطورية عالمية أو حضارة متقدمة تحمل هذا الاسم. فالتاريخ لا يُبنى على الخرائط وحدها، بل على مجموع الأدلة: النقوش، والوثائق، والعملات، واللغة، والمؤسسات السياسية، والحفريات الأثرية

ومن خلال ما ناقشته في هذا الكتاب، لم أجد دليلًا مباشرًا يجمع هذه العناصر في كيان سياسي واحد يحمل الاسم الرسمي **إمبراطورية تارتاريا**. وفي المقابل، وجدت أن

الاسم استُخدم على نطاق واسع في الجغرافيا الأوروبية بوصفه وصفًا لمناطق واسعة في آسيا، وأن معناه وتطبيقه تغيرا مع تطور المعرفة الجغرافية

ولا أدعي أنني أغلقت هذا الملف نهائيًا، لأن التاريخ علم متجدد، وقد تكشف الاكتشافات الأثرية أو الوثائق الجديدة عن معلومات تستوجب إعادة النظر في بعض الاستنتاجات. غير أن المنهج العلمي يفرض علينا أن نبني أحكامنا على الأدلة المتوافرة، لا على ما نتمنى وجوده

وأرجو أن يكون هذا الكتاب دعوة إلى قراءة المصادر الأصلية، وإلى التفريق بين **الوثيقة التاريخية** و**تفسير الوثيقة**، وبين **الاسم الجغرافي** و**الكيان السياسي**، وأن يكون خطوة نحو نقاش علمي هادئ، يحترم الدليل ويترك الباب مفتوحًا لكل اكتشاف جديد

الخاتمة

لقد بدأت رحلتي في هذا الكتاب بسؤال بسيط، لكنه كان كافيًا لفتح واحد من أكثر الملفات التاريخية إثارة للجدل في السنوات الأخيرة: **هل كانت تارتاريا حضارة عظيمة طُمست من صفحات التاريخ، أم أن الاسم الذي ظهر في الخرائط الأوروبية كان مصطلحًا جغرافيًا أُعيد تفسيره في العصر الحديث بصورة تختلف عن معناه الأصلي؟**

ومنذ الصفحات الأولى، كان هدفي ألا أدافع عن فكرة مسبقة، ولا أن أهاجم رأيًا بعينه، وإنما أن أتعامل مع الموضوع كما يتعامل المؤرخ مع أي قضية تاريخية؛ بالعودة إلى الخرائط، والوثائق، والرحلات، والنقوش، والعملات، واللغات، والمصادر المعاصرة، ثم مقارنتها وفق منهج علمي واحد

وخلال هذه الدراسة، تبين لي أن اسم **Tartaria** لم يكن اسمًا وهميًا أو مختلقًا، بل هو اسم حقيقي ورد في عدد كبير من الخرائط والكتب الأوروبية خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، واستخدمه الجغرافيون الأوروبيون للإشارة إلى مساحات واسعة من آسيا. وهذه حقيقة تاريخية موثقة لا يصح إنكارها أو تجاهلها

غير أن وجود الاسم في الخرائط لا يعني، في حد ذاته، إثبات وجود إمبراطورية عالمية أو حضارة متقدمة تحمل هذا الاسم. فالخرائط تمثل رؤية الجغرافيين لعالمهم، لكنها لا تكفي وحدها لإثبات طبيعة الكيان السياسي الذي تشير إليه، ما لم تؤيدها أدلة أخرى مستقلة، كالنقوش الرسمية، والعملات، والمعاهدات، والسجلات الإدارية، واللغة الرسمية، والتسلسل السياسي للحكام

ومن خلال مراجعة ما توفر من الأدلة، لم أجد ما يسمح لي بالجزم بوجود دولة مركزية تحمل الاسم الرسمي **إمبراطورية تارتاريا** بالمعنى الذي تطرحه كثير من الكتابات الحديثة. كما لم أعثر على سلسلة ملوك موثقة، أو عاصمة متفق عليها، أو أرشيف إداري، أو نظام كتابة مستقل، أو شبكة معاهدات دبلوماسية تحمل هذا الاسم بصورة مباشرة

وفي المقابل، وجدت أن كثيرًا من الأدلة المتداولة في وسائل التواصل الاجتماعي تعتمد على الجمع بين عناصر متفرقة؛ مثل الخرائط القديمة، والعمارة الكلاسيكية، وصور المدن، وبعض الوثائق الجزئية، ثم تقديمها على أنها أجزاء من رواية تاريخية واحدة، دون وجود خيط وثائقي متصل يربط بينها جميعًا. ومن وجهة نظري، فإن هذا الأسلوب لا يكفي لبناء استنتاج تاريخي، لأن قوة البحث لا تقاس بعدد الصور أو الخرائط، بل بترابط الأدلة واستقلالها وقدرتها على تأكيد بعضها بعضًا

ومع ذلك، فإنني لا أرى أن هذا الملف قد أُغلق نهائيًا. فالتاريخ علم يتطور باستمرار، وكل اكتشاف أثري جديد، أو وثيقة تظهر من أرشيف لم يُدرس بعد، أو نقش يُقرأ لأول مرة، قد يضيف معلومة جديدة تستوجب إعادة النظر في بعض الاستنتاجات. ولهذا فإنني أرفض تحويل أي رأي تاريخي إلى حقيقة مطلقة لا تقبل المراجعة، كما

أرفض في الوقت نفسه بناء أحكام واسعة على فرضيات لم تكتمل أدلتها

لقد حاولت في هذا الكتاب أن أفرق بين **الاسم التاريخي** و**التفسير التاريخي**، وبين **الوثيقة** و**الاستنتاج**، وبين في **Tartaria الاحتمال** و**الحقيقة**. فوجود اسم المصادر الأوروبية حقيقة تاريخية، أما تفسير هذا الاسم على أنه حضارة عالمية مفقودة فهو فرضية تحتاج إلى أدلة إضافية حتى ترتقي إلى مستوى الإثبات التاريخي

وفي ختام هذه الدراسة، لا أدعو القارئ إلى تبني النتيجة التي وصلت إليها، وإنما أدعوه إلى تبني المنهج الذي سرت عليه؛ منهج يقوم على قراءة المصادر الأصلية، ومقارنة الأدلة، واحترام الوثيقة، وعدم التسرع في إصدار الأحكام. فالتاريخ لا يُكتب بالرغبات، ولا يُعاد بناؤه بالانطباعات، وإنما يقوم على البحث، والنقد، والمراجعة، والالتزام بما تسمح به الأدلة

وإذا كان هذا الكتاب قد نجح في دفع القارئ إلى إعادة النظر في بعض الأفكار السائدة، أو إلى قراءة الخرائط والوثائق بعين أكثر نقدًا، أو إلى طرح أسئلة جديدة تستحق البحث، فإنني أعد ذلك غايتي الحقيقية من هذا العمل

ويبقى التاريخ، في النهاية، رحلةً لا تنتهي، وكل جيل يضيف إليها ما يكتشفه من وثائق، وما يقدمه من قراءة

جديدة، ويبقى احترام الدليل هو الطريق الأمثل للوصول إلى الحقيقة.

الباحث والمؤرخ أمير أبو حديد